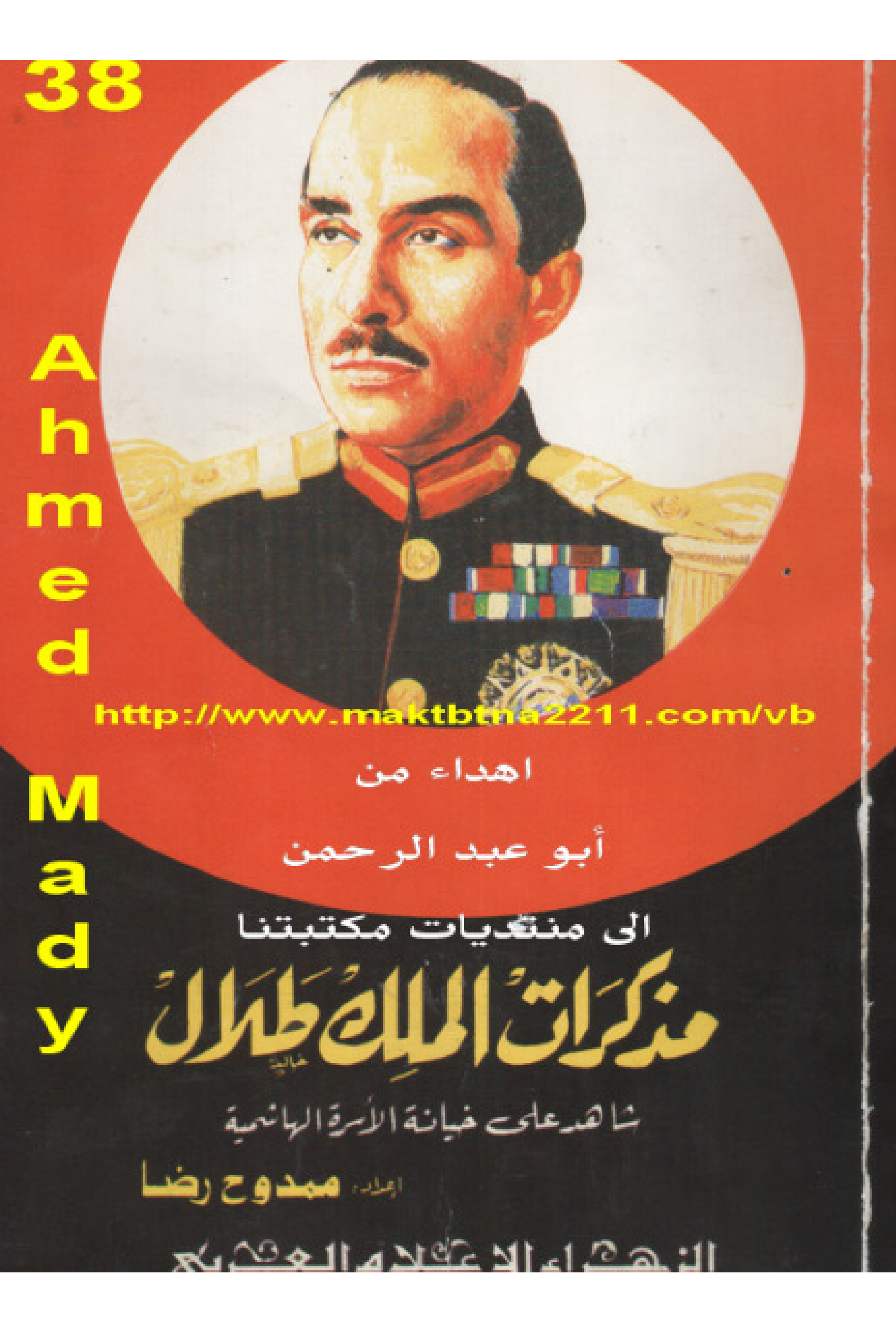


مذكرات الملك طلال

شاهد على خيانة الأسرة الهاشمية

... ويستمر مسلسل التآمر ، ومثلما باع الشريف الأكبر دولة الخلافة العثمانية للإنجليز ، يأتي اليوم الشريف الأصغر ويحاول بيع الوطن العربي لليهود والكويت لصدام ، فهي ذرية بعضها من بعض ، قد رضعت لبن الخيانة وتغذت بالتآمر ، وديدنها مصلحة ذاتية قصيرة ، في سبيلها تذهب المبادئ ويذهب الدين .

وهذا الكتاب يحكي طرفا من تاريخ هذه الأسرة ؛ من خلال مذكرات الملك طلال ، وندرك منها أن من أدخل والده مستشفى الأمراض العقلية ليس صعبا عليه أن يتخل عن أمته ، والتاريخ يعيد نفسه ، وما أشبه الليلة بالبارحة .

والله من وراء القصد

الناشر

Tuse
2-2-2010
Riyadh

الزهراء للإعلام العربي

مذكرات الملك طلال

شاهد على خيانة الأسرة الهاشمية

إعداد: ممدوح رضا

الزهراء للإعلام العربي

مذكرات الملك طلال

شاهد على خيانة الأسرة الهاشمية

... ويستمر مسلسل التآمر ، ومثلما باع الشريف الأكبر دولة الخلافة العثمانية للإنجليز ، يأتي اليوم الشريف الأصغر ويحاول بيع الوطن العربي لليهود والكويت لصدام ، فهي ذرية بعضها من بعض ، قد رضعت لبن الخيانة وتغذت بالتآمر ، وديدنها مصلحة ذاتية قصيرة ، في سبيلها تذهب المبادئ ويذهب الدين .

وهذا الكتاب يحكي طرفا من تاريخ هذه الأسرة ؛ من خلال مذكرات الملك طلال ، وندرك منها أن من أدخل والده مستشفى الأمراض العقلية ليس صعبا عليه أن يتخلى عن أمته ، والتاريخ يعيد نفسه ، وما أشبه الليلة بالبارحة .

والله من وراء القصد

الناشر

الزهراء للإعلام العربي

٤

الأخ الصديق د. أحمد
يعلم الله أنه لك معزة
خاصة برغم من قصر مدة
تعارفنا وإذا أقدم كتاب
مذكرات الملك طلال هدية
متواضعة لمكتبتك الرائعة
فأرجو أن تكون بداية
صداقة طيبة في رضى
الله وذلك دعائي
الدائم بالتوفيق

أبو محمد الرضا
٢١/١٢/١٤٣١
٢٧/١١/٢٠١٠

مقدمة الطبعة الثانية

نشرت هذه المذكرات في « روز اليوسف » قبل أكثر من ثلاثين عاما ولم أكن أتصور أنني سأنشرها في كتاب في ذلك الوقت .

غير أنني اضطررت للاستجابة إلى رغبة أستاذي إحسان عبد القدوس الذي رأى وقتئذ ضرورة نشرها لتعميم الاطلاع عليها وحفظها كسجل مكتوب عن فترة غامضة في تاريخ الوطن العربي بصفة خاصة ، وتاريخ الأسرة الهاشمية بصفة أكثر خصوصية .

وقد كنت أعتقد أن هذه المذكرات يمكن أن تكون محدودة الفائدة إلا أنني اكتشفت مع الوقت أن فائدتها كانت واسعة لكل من رغب في الاطلاع على جانب غامض في تاريخ الأسرة الهاشمية .

لقد فوجئت — مثلا — بوجودها في مكتبات جامعات عديدة في الولايات المتحدة ... كانت بين الكتب العربية التي تحتفظ بها هذه المكتبات ضمن الكتب العديدة التي ضمتها .

وفوجئت كذلك بوجود هذه المذكرات في مكتبة الكونجرس الأمريكي بين ما يحتفظ به من وثائق عربية .

وفوجئت أيضا بوجود هذه المذكرات في مكتبات جامعات أخرى في أوروبا وكندا فقد أطلعني الصديق الدكتور علي الدين هلال الذي كان يدرس في جامعة مونتريال بكندا في أواخر الستينيات والأستاذ الحالي بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية على هذه المذكرات في القسم العربي بمكتبة جامعة مونتريال ضمن ما تحفظه الجامعة من كتب سياسية .

* * *

ولقد رويت قصص كثيرة عن هذه المذكرات .

قيل — مثلا — إن هذه المذكرات كانوا يبيعونها في الأردن بعشرة أضعاف قيمتها ، وقيل لهذا السبب إن كل كمية كانت تطرح منها كانت تنفد بعد ساعات من طرحها .

وسمعت أيضا أن عناصر معينة من جهاز خاص يعمل لحساب الأسرة المالكة في الأردن كان يجمعها ويحرقها في مكان معين بالأردن .

وروى لي البعض أن كل من كان يحملها معه كانت تصادرها السلطات الأردنية على الفور ... وأنا أقصد طبعا من كان يحملها من العائدين إلى عمان من الخارج .

وأيا كانت صحة هذه الحكايات أو مصداقيتها فإن حقيقة

واحدة تبقى مثيرة لكثير من الأسئلة الغامضة وهي أن غالبية ما طبع من هذه المذكرات غير موجود لدى الناشر ولدى الموزعين في مصر والدول العربية لأسباب غير مفهومة وغير معروفة .

* * *

ولاترجع أهمية هذه المذكرات إلى ما تضمنته من قصص وحكايات عن أحد أفراد الأسرة الهاشمية وهو الملك طلال بن عبد الله والد الملك حسين ... ولكن ترجع أهميتها إلى أنها المخطوط الوحيد الذي تناول فترة غامضة في التاريخ العربي الحديث هي فترة حكم الملك طلال التي فرض عليها تعتيم إعلامي كامل منذ ذلك الوقت وحتى الآن .

وقيل في تفسير ذلك أن أساليب كثيرة اتبعت لتحقيق هذا التعتيم المقصود تمت كلها بتعليمات من جهة واحدة وبخبراء مدربين وبمعرفة بعض موزعي الكتب في الدول العربية .

ولا أريد أن استرسل في الحكايات التي سمعتها في ذلك الوقت والتي جعلتني أندم كثيرا في معظم الأحيان على نشرها ... فبسبب هذا النشر واجهت لفترة غير قصيرة تهديدات كثيرة .... قيل إن مصدرها كلها واحد ومعروف .

والله أعلـــم.... .

وأنا لا أحمل ضغائن سابقة للملك حسين الذي جاءت هذه

المذكرات لتروي الكثير على لسان والده ولا أريد أن أساهم في حملات التشهير التي تقوم بين الحين والآخر عليه وعلى سياسته .

كذلك لا أريد أن تكون هذه المذكرات فرصة لانتقاد مواقفه الأخيرة من حرب الخليج ولكنني أقول كما قلت منذ أكثر من ثلاثين عاما ، أي منذ بدأ نشر هذه المذكرات إن قيمة هذه المذكرات تكمن في كونها الوثيقة الوحيدة عن فترة غامضة جمعت من أوراق متناثرة مهلهلة ، وأضاف إليها المرافق العسكري للملك طلال وقتئذ بعض انطباعاته أو بعض مما سمعه من الملك ويمكن أن يعتبر تكملة للمذكرات .

ولست أهدف من وراء إعادة نشر هذه المذكرات الإسهام في أي حملات للتشهير بأي فرد في الأردن فما يجري في الأردن ملك لأبنائه وقد عبر عن الرأي فيه كثيرون بوسائل مختلفة وفي مناسبات عديدة .

وكل ما أهدف إليه هو الإسهام في إحياء الوثيقة الوحيدة التي تتصل بفترة حكم الملك طلال بن عبد الله أيا كان الرأي في قيمتها التاريخية .

ممدوح رضا

هذه المذكرات

تسجيل لفترة غامضة ، لم يعرف كثيرون من أبناء الوطن العربي ، تفصيلات أحداثها ....

فترة حكم الملك طلال للأردن .... .

وهي في الوقت نفسه ....

أضواء جديدة ، توضح حقيقة الأسرة الهاشمية .... .

لهذين الهدفين فقط نشرت المذكرات .... .

كيف حصلت على المذكرات

خلال الشهور الست التي استغرقها نشر مذكرات الملك طلال ، في « روز اليوسف » تلقيت مئات الرسائل والبرقيات تعليقا عليها .

وكانت معظم هذه الرسائل ، قادمة من أجزاء الوطن العربي وفي بعض الرسائل ، تردد سؤال واحد ، جدير بالاهتمام .

كان السؤال :

كيف حصلت على المذكرات ؟

ولا أحب أن يكون ردي على هذا السؤال ، قصة خيالية شائقة ، أعرض فيها لمغامراتي التي سبقت الحصول على هذه المذكرات ! لماذا ؟ لأنه لم يسبق حصولي على المذكرات أية مغامرة ؟

كيف حصلت عليها ... إذن ؟

في صيف عام 1960 ، التقيت بالمقدم صبحي طوقان ، سكرتير الملك طلال ومرافقه الخاص ، وروى لي قصة المذكرات .

وسألته على الفور ، بدافع الفضول الصحفي :

ـــ هل نشرتها ؟

قال في تردد : لا .

قلت : لماذا ؟

قلت : لأنني حائر أين أنشرها ؟

ولم أعرض نشرها في « روز اليوسف » حتى لا يملي علي شروطا معينة . . .

ولكني سألته :

ـــ ربما طعن الكثيرون في صحة هذه المذكرات ! كيف تثبت لهم صحتها ، وصدقها ؟

قال :

ـــ لدي خطاب بخط يد الملك طلال ، يؤكد صحة كل ما جاء في هذه المذكرات ؟

قلت :

ـــ ربما طعن البعض في صحة هذا الخطاب أيضا !

قال :

ـــ معقول !

وسألني :

ـــ ولكن ... ما هو الحل ؟

قلت :

ـــ هل يمكن الاتصال بالملك طلال ؟

قال على الفور :

ـــ لا أعتقد !

قلت :

ـــ لماذا ؟

قال :

ـــ لأنهم لن يسمحوا لي بدخول تركيا !

وأبديت استعدادي للسفر بدلا منه إلى إستانبول ، لمقابلة الملك طلال ، وعرض المذكرات عليه ، والحصول على موافقته عليها !

غير أن صبحي طوقان ، سألني :

ـــ ولكن ... كيف تصل إلى طلال ؟

قلت :

ـــ هذه مهمتك ... لقد عشت سنوات إلى جواره ، وتستطيع أن تضع لي خطة مقابلته !

قال :

ـــ لا ... لا ... لقد خطرت لي فكرة الآن !

قلت :

ـــ ما هي ؟

قال :

ـــ لقد التقيت منذ أيام بأحد أصدقاء طلال ، وقال لي إنه حصل على إذن من عمان ، لمقابلة الملك في مستشفاه بإستانبول ..

وسألني :

ـــ ما رأيك ، هل أبعث بالمذكرات معه ليقرأها الملك ، ويوقع بإمضائه على كل صفحة منها ؟

وأيدت الفكرة ، وطلبت إليه أن يعيد كتابة المذكرات على الآلة الكاتبة ، ويجعلها من عدة نسخ ، حتى لا تضيع المذكرات نهائيا ، في حالة وقوعها في يد رجال البوليس التركي ..

ثم سألته :

ـــ ولكنك ، لم تخبرني ، أين تنوي نشر المذكرات ؟

فسألني هو الآخر :

هل تقبل نشرها ، خدمة للتاريخ ؟

ووافقت ...

ثم طلبت إليه ، أن يبلغ الملك طلال أيضا ، اسم من سيتحمل مسئولية إعدادها ونشرها ، واسم الجريدة التي قبلت نشر هذه المذكرات .

ووافق صبحي طوقان .

وراح يبحث عن صديق الملك طلال ، الذي ينوي السفر إلى إستانبول .

وبعد ثلاثة أيام ، من البحث المضني ، جاءني صبحي طوقان ، وأبلغني أنه عثر على الصديق ، وأنه اتفق معه على كل شيء .

وسافر الصديق إلى إستانبول ، ومعه المذكرات .

وبعد عدة أسابيع ، عاد إلى القاهرة .

واتصل بصبحي طوقان ، في الإسكندرية - حيث يقيم - وأبلغه أن الملك طلال ، قرأ المذكرات ، ووقع بإمضائه على كل صفحة منها .

كما أبلغه أيضا ، شكره لقبولي إعدادها ونشرها ، وتنازله عن جميع حقوق نشرها لي .

وجاءني صبحي طوقان فرحا ، ليبلغني هذه الأنباء .

وقدم لي المذكرات ، وهو يقول :

- الآن ... انتهت مهمتي ... وأرحت ضميري !

مقدمة تاريخية

في 20 يوليو عام 1951 اغتيل الملك عبد الله ، وأسدل الستار على كبير الخونة في الأسرة الهاشمية !

وأحدث اختفاء الملك عبد الله ، فراغا كبيرا بالنسبة لبريطانيا ... فقد كان عبد الله أصلب رجال الأسرة الهاشمية عودا في الخيانة ، وأعرقهم إيمانا بالاستعمار البريطاني !

وبرز سؤال : من يستطيع أن يخلف الملك عبد الله ، في تنفيذ السياسة البريطانية في العالم العربي ؟

وثار جدل طويل في لندن حول الرجل المناسب .. .

وكان هناك رأي يقول : إن الأمير طلال الابن الأكبر للملك عبد الله ، يسهل التأثير عليه ، لضعف شخصيته ، ولذلك فهو الرجل المناسب !

أما وزارة الخارجية البريطانية ، فقد كان لها رأي آخر ... إنها تعتقد ، أن النجل الثاني للملك عبد الله ، الأمير نايف ،

أكثر دهاء من الأمير طلال ، وأكثر فهما للسياسة الاستعمارية التي أرضعها له والده ، ولذلك فهو الرجل المناسب !

وانتصر أصحاب الرأي الأول . . .

وسافرت بعثة بريطانية كبيرة إلى الأمير طلال ، في سويسرا ، حيث كان يعالج في إحدى مصحاتها ، وأمضت معه أسبوعا كاملا ، انتهت خلاله من تلقينه جميع تعليماتها !

وعادت البعثة إلى لندن . .

ونودي بالأمير طلال ، في 6 سبتمبر عام 1951 ، ملكا على الأردن !

ومنذ اليوم الأول ، لمباشرة الملك طلال مهام منصبه ، بدأت تصله من لندن ، مئات التعليمات ، وعشرات الآراء والتوجيهات .

غير أن تضارب هذه التعليمات وتعددها جعل الملك طلال يعيش في قلق ، واضطراب وفزع ! الأمر الذي أدى إلى تحوله ، بعد فترة قصيرة ، إلى رجل عديم الفائدة لبريطانيا !

وكان طبيعيا بعد ذلك أن تبحث بريطانيا عن حل سريع للتخلص من طلال .

واهتدت إلى الحل . .

كان الحل هو : اختلاق قصة جنونه الشهيرة ، لإبعاده عن البلاد ، تمهيدا لعزله عن العرش ، وتولية « ألعوبة جديدة » بدلا منه !

وفي 11 أغسطس عام 1952 ، أعلن تنازل الملك طلال عن العرش ، لابنه الطفل حسين !

وبدأ عهد الملك الطفل ! أو على وجه الدقة ، عهد الملكة زين ... فقد كانت هي : ملك الأردن ، وملكة الأردن ، ورئيس الوزراء والوزراء والمنفذة الأولى للسياسة البريطانية في الأردن .

أكثر دهاء من الأمير طلال ، وأكثر فهما للسياسة الاستعمارية التي أرضعها له والده ، ولذلك فهو الرجل المناسب !

وانتصر أصحاب الرأي الأول .. .

وسافرت بعثة بريطانية كبيرة إلى الأمير طلال ، في سويسرا ، حيث كان يعالج في إحدى مصحاتها ، وأمضت معه أسبوعا كاملا ، انتهت خلاله من تلقينه جميع تعليماتها !

وعادت البعثة إلى لندن .. .

ونودي بالأمير طلال ، في 6 سبتمبر عام 1951 ، ملكا على الأردن !

ومنذ اليوم الأول ، لمباشرة الملك طلال مهام منصبه ، بدأت تصله من لندن ، مئات التعليمات ، وعشرات الآراء والتوجيهات .

غير أن تضارب هذه التعليمات وتعددها جعل الملك طلال يعيش في قلق ، واضطراب وفزع ! الأمر الذي أدى إلى تحوله ، بعد فترة قصيرة ، إلى رجل عديم الفائدة لبريطانيا !

وكان طبيعيا بعد ذلك أن تبحث بريطانيا عن حل سريع للتخلص من طلال .

واهتدت إلى الحل .. .

كان الحل هو : اختلاق قصة جنونه الشهيرة ، لإبعاده عن البلاد ، تمهيدا لعزله عن العرش ، وتولية « ألعوبة جديدة » بدلا منه !

وفي 11 أغسطس عام 1952 ، أعلن تنازل الملك طلال عن العرش ، لابنه الطفل حسين !

وبدأ عهد الملك الطفل ! أو على وجه الدقة ، عهد الملكة زين ... فقد كانت هي : ملك الأردن ، وملكة الأردن ، ورئيس الوزراء والوزراء والمنفذة الأولى للسياسة البريطانية في الأردن .

قصة المذكرات

قبل أن يتقرر سفر الملك طلال إلى الخارج للعلاج ، دعا توفيق أبو الهدى - رئيس الوزارة وقتئذ - إلى اجتماع عاجل ، في دار رياسة الوزراء .

وشهد الاجتماع ، كل من :

● الجنرال جلوب ، رئيس أركان حرب الجيش الأردني ...

● السيد عبد الرحمن خليفة رئيس الديوان الملكي .. .

● الدكتور شوكت الساطي ، الطبيب الخاص للملك ...

● جميع الوزراء . ..

● ثلاثة من كبار ضباط الجيش ، هم : مدير الأمن العام ، وقائد قوات البادية ، والمقدم صبحي طوقان .

وعندما أخذ توفيق أبو الهدى ، مكانه في رأس مائدة الاجتماعات ، فتح الملف الضخم الذي كان يحمله وهو يدخل إلى القاعة . .

وبدأ رئيس الوزراء يتحدث . .

قال : إن البلاد وصلت إلى حالة سيئة لم تشهد مثيلا لها من قبل !

ثم قال على الفور ، في صراحة غريبة : وسبب ذلك هو الملك طلال !

وبدأ يوضح كلامه ، فقال : إن الملك في حالة صحية سيئة ! وهذه الحالة الصحية تؤثر على أعصابه ! وهذا ما يفسر تصرفاته الشاذة التي يتحدث عنها الجميع كركوب الخيل في الشوارع ، والإسراف في شرب الخمر ! والاتصال بالعناصر الخطرة ! وتحريض الضباط على القيام بانقلابات عسكرية ! ومحاولة قتل نجله الأمير محمد في باريس ! وعدم الاعتراف بأبوة كريمته الأميرة بسمة !

وأخرج رئيس الوزراء ، ورقة صغيرة من الملف الكبير وقال : هذا الخطاب ، تلقيته اليوم من الملكة زين ! إن الملكة تطالب بضرورة تنحية زوجها عن العرش والمناداة بنجله الأمير حسين ملكا على الأردن !

والتفت رئيس الوزراء إلى الطبيب الخاص للملك ، وطلب إليه قراءة التقارير التي يحتفظ بها عن حالة الملك طلال الصحية .

وبدأ الطبيب الخاص للملك ، وأقرب المقربين للملكة زين ، يتكلم . .

قال : إن الملك طلال ، أصبح في حالة لا تؤهله لتحمل أعباء الحكم ، وذلك نظرا لسوء حالته الصحية وضعف قواه العقلية !

وقرأ وزير الصحة ، جميل التوتونجي تقريرا مماثلا . .

ثم عاد رئيس الوزراء يتكلم . .

قال : لهذه الأسباب مجتمعة سأعرض على مجلس الأمة ، قرارا وافق عليه مجلس الوزراء بالإجماع ، ويقضي بمطالبة المجلس بالموافقة على تنحية الملك طلال عن العرش لعدم صلاحيته للقيام بسلطاته الدستورية ورفضه التعاون مع الحكومة !

وسكت رئيس الوزراء .. .

وعاد الطبيب الخاص للملك ، يتكلم .

قال : إن الملك طلال أصبح لا يستطيع التحكم في قواه العقلية بسبب الكميات الضخمة التي يتناولها من الخمر !

ثم قال : إنه يعتدي كل يوم اعتداءات وحشية على أفراد حاشيته ، ويهدد الملكة زين وأولاده بالقتل ، وهذا هو سبب وجودهم في الخارج في معظم شهور السنة ... الأمر الذي لا يمكن استمراره !

ثم اتجه بحديثه نحو الضباط الثلاثة الذين شهدوا هذا الاجتماع ، وقال :

– وقد وقع الاختيار عليكم ، لترافقوا الملك بصفة دائمة ،

وتعملوا على منع تسرب الخمور إلى القصر ، ومنع اتصال الملك بأي شخص إلا بأمر كتابي من رياسة أركان حرب الجيش ، وبتوقيع الجنرال جلوب شخصيا !

ثم طلب إليهم الإقامة بصفة دائمة في القصر ... وأمرهم بمغادرة الاجتماع على الفور والتوجه لمقر عملهم الجديد !

ونظر الضباط الثلاثة ، إلى رئيس الوزراء ، ليعرفوا مدى موافقته على هذا الكلام . ففوجئوا به يقول هو الآخر :

- نعم ... هذه هي التعليمات !

وتوجه الضباط الثلاثة إلى قصر بسمان ... حيث كان يقيم الملك طلال !

وهناك فوجئوا بقوات المدرعات تحاصر القصر !

ومضت أيام قليلة بعد هذا الاجتماع ثم عرض القرار الذي أعده رئيس الوزراء على مجلس الأمة .

ووافق مجلس الأمة ، على القرار المقدم إليه بعزل الملك طلال عن العرش ، والمناداة بنجله الأمير حسين ملكا على الأردن .

اثنان فقط عارضا هذا القرار ، هما : الشيخ سليمان التاجي الفاروقي والمحامي أبو الشعر ، وكان مصيرهما الاعتقال فورا !

وتحول الضباط الثلاثة إلى « سجانين » للملك !

ومن بين هؤلاء السجانين الثلاثة اختار الملك طلال ، المقدم

صبحي طوقان ليكون مرافقه وسكرتيره الخاص .

وتوطدت العلاقة بين الملك طلال وسكرتيره ، إلى أن طلب إليه الملك ذات يوم أن يساعده في كتابة مذكراته .

وبين الحين والآخر ، كان الملك طلال يستدعي سكرتيره ، ليملي عليه فصلا ، أو بعض فصل ، إلى أن اكتملت هذه المذكرات .

الفصل الأول

يقول سكرتير الملك طلال في بداية المذكرات التي سجلها عن الملك !

– بعد أن تلقى الملك طلال قرار عزله عن العرش الذي قام بإبلاغه إليه الجنرال أحمد صدقي الجندي والعقيد راضي عناب ، استدعاني ، وطلب إلي عدم السماح لأي شخص بالدخول إليه ، أو الاتصال به تليفونيا .

كان الملك طلال في حالة نفسية سيئة للغاية .

وكانت علامات الانهيار بادية على وجهه .

وقد فوجئت به ، يسرع إلى إحدى غرف النوم ، المخصصة لأحد رجال حاشيته ، ويعتكف فيها .

وعندما لاحظ استغرابي ، قال لي : لن أدخل إلى غرفة نوم الملك ! لم أعد ملكا ! لم أعد أستحق استعمال الغرف المخصصة للملك !

ثم طلب إلي الأمر بإنزال العلم ، من فوق سارية القصر .

ويمضي المقدم طوقان قائلا :

– كان طلال سجينا في قصره ، وكنا نحن أيضا سجناء معه ! فلم يكن مسموحا لنا بمغادرة القصر على الإطلاق .

وبقينا على هذا الحال ، أسبوعا كاملا .

وبعد ذلك خرج الملك عن صمته وبدأ يتحدث إلينا ، ولكنه كان يدخن عددا لا يحصى من السجاير في عصبية ظاهرة ، وكان لا ينقطع دقيقة واحدة عن شرب القهوة أو الشاي .

وذات يوم فوجئت بأمر قادم من الجنرال جلوب بإبلاغ الملك ضرورة مغادرة قصر بسمان فورا والتوجه إلى مدينة أربد للإقامة فيها ، حتى ينتهي إعداد مكان دائم لإقامته !

وأبلغت الأمر إلى الملك طلال ، فوافق فورا ، ثم غادرنا القصر إلى مدينة أربد عاصمة اللواء الشمالي ، المتاخمة للحدود السورية .

ووصلنا أربد .

كان المنزل الذي خصص لإقامة طلال هو نفس المنزل الذي كان مخصصا لإقامة الملكة الوالدة مصباح ، وكان يحيط به عدد كبير من الجنود بسياراتهم المدرعة .

وما كدنا نخطو الخطوة الأولى داخل المنزل حتى فوجئنا بتعليمات مشددة لا تقل عن التعليمات التي كانت قد صدرت إلينا في البداية .

كان من بين تلك التعليمات الصادرة القيام بنزهة – كل صباح – مع الملك طلال ، بالسيارة في اتجاه ومسافات حددت لنا ! وقد حظر علينا السير في اتجاه مدينة الرمثا المتاخمة لمدينة درعا السورية ، وكذلك حظر علينا السير في اتجاه مدينة المفرق المؤدية إلى طريق العراق ، واقتصر السماح لنا بالسير حتى الكيلو 68 في الطريق المؤدي إلى عمان ، على ألا نتجاوزه بأي حال من الأحوال .

وكان الملك طلال عندما يصل إلى الكيلو 68 يقول : ها قد وصلت إلى « خط الهدنة » بيني وبين الملكة زين !

وهكذا انتقلنا من سجن بسمان إلى معتقل مصباح !

ومضت أربعون يوما في هذا المعتقل ، أربعون يوما ، لم يسمح لنا خلالها ، بالتحدث إلى أي إنسان !

وذات صباح ، فوجئت بالسيد عوني عبد الهادي ، سفير الأردن في القاهرة – وقتئذ – يطرق باب المنزل وفي يده « تصريح دخول » من قيادة الجيش وبتوقيع جلوب !

وطلب عوني عبد الهادي مقابلة الملك فأدخلته إليه على الفور .

وأبلغ عوني عبد الهادي الملك ، أن حكومة مصر وافقت على السماح له بالإقامة في أراضيها وأنها سوف تخصص له قصرا في حلوان .

وكاد الملك يطير فرحا ، وطلب إلى عوني عبد الهادي أن يعد العدة لسفره في اليوم التالي مباشرة .

ووافق السفير واستأذنه في الانصراف لإبلاغ الملكة زين والملك حسين ، موافقته على الإقامة في القاهرة .

وفي مساء نفس اليوم ، فوجئنا بالملكة زين والملك حسين وباقي أشقائه والشريف ناصر والشريفة فاطمة خالة الملك طلال ، فوجئنا بوصولهم لتحية الملك طلال ووداعه قبل سفره !

وأمضوا معه عدة دقائق ، ثم انصرفوا .

وبعد أن انصرفوا ، كان طلال في حالة نفسية سيئة للغاية ، وكان يتمتم : يا لجرأتهم ! قتلوني ثم جاءوا ليشيعوا جثتي !

الفصل الثاني

طلال في مصر

يقول سكرتير الملك طلال :

في صباح اليوم المحدد للسفر ، حضر السفير عوني عبد الهادي ، واجتمع طويلا بالملك طلال وأبلغه أن الطائرة التي ستقله إلى القاهرة ، في انتظاره بمطار المفرق .

وفي الطريق إلى المطار ، كان طلال صامتا لا يتكلم ، ولكنه كان يدخن بشراهة !

وقبل أن نصل إلى المطار بعدة كيلو مترات ، اعترض طريقنا جمل ، ورفض التحرك ، الأمر الذي اضطر معه السائق إلى التوقف عن السير ريثما يتم إبعاده عن الطريق .

وفوجئنا بطلال ، يخرج عن صمته ، ويقول : انظروا ، إن الجمل لا يريد سفري ، لا يريد إبعادي عن الأردن ، ولكن زين وحسين وأبو الهدى وجلوب يريدون ذلك ويتهمونني بالجنون ، يا للفضيحة !

وتابعنا سيرنا إلى المطار .

كان في استقبال الملك في المطار عدد من كبار المسئولين ، بينهم رئيس الديوان الملكي ، وكان مفروضا أن يصافحهم الملك ، غير أنه غادر السيارة في عصبية واضحة ، ثم اتجه إلى الطائرة على الفور !

وساد الهدوء في الطائرة فترة غير قصيرة ، لم يفتح الملك خلالها فمه بكلمة واحدة !

وهمست في أذن عوني عبد الهادي ، ليحاول قطع صمت الملك ، وإخراجه عن كآبته فذهب إليه السفير بالفعل وقال له :

– أرجو أن تكون الرحلة مريحة يا مولاي !

وصاح الملك طلال :

– مريحة ، مريحة ! ، ها ... ها ... ها ... كيف تريد أن تكون الرحلة مريحة وأنا أبعد عن أهلي وعشيرتي وخيرة أصدقائي ؟ كيف تريد أن تكون الرحلة مريحة ، وأنا أعلم أن زوجتي وولدي ، ومن سلمت إليهم الأمور في بلدنا تآمروا علي ، وتعاونوا جميعا في إقصائي عن العرش أولا ، وإبعادي عن البلاد ثانيا ؟

ثم صاح الملك طلال ، في وجه عوني عبد الهادي وهو يشير بيده :

– انظر ... إن العقبة تحتك !

واستطرد قائلا :

– أخرجني ولدي من الأردن ، بسبب الإنجليز ، وأخرج آل هاشم جميعا من الحجاز بسبب ولائهم للإنجليز !

وصمت قليلا ثم قال :

– وهذا هو ميناء إيلات الإسرائيلي ، لقد كان والدي – عبد الله – سببا في إيجاد إسرائيل شوكة في جسم الأمة العربية !

وسكت قليلا ثم عاد يتكلم : إن بلدا على رأسه أفعى كزين وابنها حسين ، سيكون مصيره الخراب ، الخراب ، الخراب !

وجعل الملك طلال ، يردد كلمة الخراب طويلا !

وامتقع وجه عوني عبد الهادي وتغيرت ملامحه ، ولم يدر كيف يجيب على كلام الملك طلال ، فاتخذ من الصمت وسيلة لإنهاء الحديث !

ووصلت الطائرة إلى مطار القاهرة .

كان في استقبال الملك عدد كبير من الرسميين ورجالات العرب ورجال الحرس الجمهوري وكان مفروضا أن يصافحهم الملك جميعا ، غير أنه التفت إلي وقال : اذهب إلى الإخوان وبلغهم شكري لتفضلهم بالحضور ، واعتذاري عن عدم إمكاني التحدث إليهم ، لأني أشعر بتعب شديد !

ونفذت الأمر .

وركبنا السيارة – الملك طلال وعوني عبد الهادي وأنا – واتجهنا إلى حلوان .

كانت السيارة تسير بسرعة مذهلة ، لم نتبين معها ملامح الطريق .

وبعد أكثر من نصف ساعة ، كنا قد وصلنا إلى حلوان ، وفوجئنا بالسيارة تدخل إلى مبنى كبير ، على بابه لافتة كتب عليها « مستشفى بهمان للأمراض العقلية » !

ووضحت المؤامرة أمامي .

لقد أوهموا طلال أنه سيقيم في قصر بالقاهرة ، وها هم أولاء يضعونه رغما عنه في مستشفى للأمراض العقلية .

طلال مع المجانين

وقفت السيارة أمام باب المستشفى الداخلي وقرأ الملك اسم المستشفى بوضوح ثم التفت إلى عوني عبد الهادي وقال ، وكأنه يبصق في وجهه :

– هل هذا هو القصر الذي أعددته لي ؟ هل تحول القصر إلى مستشفى للمجانين ؟

ولم يتكلم السفير .

وأسرع أطباء المستشفى نحو السيارة وفتحوا بابها ، وراحوا يرحبون بالملك طلال ، ثم أحاطوه من كل جانب كأنهم يخشون فراره !

وأصبت بحالة ذهول ، لم أتمكن معها من فتح فمي بكلمة واحدة ! حتى إن أحد الأطباء ، سألني : هل فقدت شيئا ؟

فقلت له : أين السفير ، أين عوني عبد الهادي ؟

ورد الطبيب : لقد ذهب السفير إلى منزله ، وأنتما الآن في ضيافتنا !

ورافق صاحب المستشفى ، الدكتور بهمان ، الملك طلال إلى الجناح الذي خصص لإقامته ، ثم قال له : إن كل من في المستشفى يتمنى شفاء جلالتك وسنكون جميعا في خدمتك !

لم أسترح لكلمات الدكتور بهمان ! فقد تصورته أحد الذين تآمروا على الملك طلال لوضعه في مستشفى الأمراض العقلية !

وبقيت مع الملك طلال في جناحه وكان معنا بعض الأطباء .

ومرت فترة صمت ، قطعها الملك قائلا في غضب وثورة : أنا مش مريض ! عملوها في ! دبرت المؤامرة زين ونفذها الكلب عوني عبد الهادي !

وبدأ الأطباء يهدئون من ثورة الملك ، ولكن ، بدون جدوى ، فقد استمر يردد – في ثورة – عبارات قاسية عن الملكة زين !

ثم انفجر يبكي بصوت مسموع .

أما أنا فقد انتابتني مشاعر متعددة ، وبدأت أسأل نفسي : هل يدبرون مؤامرة لقتل طلال ؟ ولماذا ؟ وماذا يكون موقفي – أنا – أمام التاريخ ؟

بعد فترة ، ليست قصيرة ، سكت الملك طلال عن البكاء !

أما أنا فقد جلست في حجرتي أفكر في المصير الذي ينتظر الملك ، بعد أن تمكنوا من جره إلى مستشفى للأمراض العقلية

.... وقفزت إلى ذهني مئات الأفكار ، والتخيلات !

وبحركة لا إرادية ، وجدت نفسي أقف وأصيح بصوت عال :

– هذا الرجل مظلوم ! مظلوم ! مظلوم !

وجعلت أردد كلمة مظلوم ، عشرات المرات ، إلى أن فوجئت بعدد من العمالقة ، يقتحمون غرفتي ، ويحملونني بالقوة إلى الحمام ، ثم يقومون بأنفسهم ، بكل إجراءات الاستحمام ، ثم أخرج أحدهم « موس » وحلق شعري ، وشاربي ، ثم ألبسني « بيجاما » بيضاء ، ثم صحبني مع باقي العمالقة إلى غرفة النوم ، حيث قدموا لي أقراصا منومة ، جعلتني أستسلم للنوم العميق ، بعد ثوان !

وفي اليوم التالي فوجئت بالدكتور بهمان يوقظني ليعتذر لي عما بدر من رجاله نحوي ، وقال وهو يبتسم : عندما سمعوا صوتك يرتفع ظنوا أنك نزيل جديد فقاموا بأداء الإجراءات المعتادة !

وارتديت ملابسي وذهبت على الفور إلى الملك الذي أغرق

في الضحك عندما شاهدني بدون شعر وشارب ، وجعل يروي لي بعض الطرائف ليرفع من روحي المعنوية .

هذه الحادثة الصغيرة ، زادت من شكوكي وأكدت عدم اطمئناني للدكتور بهمان ، ومستشفاه ، وزادت من اقتناعي بأن هناك مصيرا مجهولا ينتظر طلال !

ما هو المصير الذي ينتظر طلال ؟ لا أدري .

وفي المساء جاءني الدكتور بهمان وقال :

– لقد تقرر وضع الملك تحت الرقابة الصحية ، ويستحسن أن يترك وحده !

وسألته عن السبب ، فقال :

– لا نريد أي مناقشات معه ! نريد أن يبقى الملك في عزلة تامة ! وعندما أفهمته مهمتي وهي أن أكون إلى جواره قال لي :

– يجب أن تنفذ ما أقوله !

وأزاء إصرار الدكتور بهمان ، لم أجد بدا من تنفيذ كلامه .

وأبرقت إلى عمان طالبا السماح لي بالعودة .

وجاءت الموافقة وسافرت إلى عمان وبقي الملك طلال في المستشفى وحده وانقطعت صلتي بأخباره تماما !

الفصل الثالث

مؤامرات جديدة

يقول سكرتير الملك طلال :

ذات صباح في أواخر شهر يونيو عام 1953 ، دق التليفون في مكتبي ، وكان المتحدث هو : الزعيم أحمد صدقي الجندي ، مساعد جلوب ، وطلب إلي الحضور لمقابلته على الفور .

وعندما ذهبت إليه ، أبلغني أن حادثا وقع للملك طلال ، عندما كان يقود سيارته في طريق مصر - الإسكندرية ، وأن بعض مرافقيه لاقوا حتفهم في هذا الحادث ! ثم أبلغني رغبة الملكة زين والملك حسين في عودتي إلى القاهرة للعمل - من جديد - كمرافق وسكرتير للملك طلال !

وهكذا عدت إلى القاهرة .

وقبل أن أتحرى ظروف الحادث الذي وقع للملك طلال ، رحت أسأل عن سلوك طلال في الفترة من تاريخ سفري إلى عمان حتى تاريخ وقوع الحادث .

وقيل لي ، إن طلال أمضى فترة العلاج بمستشفى بهمان ، ثم طلب إليه الدكتور بهمان تمضية « فترة نقاهة » في الإسكندرية .

ولكن ، هل تسكت الملكة زين عندما تسمع أن طلال في فترة النقاهة التي سيعود بعدها إلى عمان سليما معافى ؟

قطعا : لا !

فإن معنى ذلك ، فشل جميع الخطط التي رسمتها مع بريطانيا !

وبعثت الملكة زين بمجموعة من الخدم إلى طلال ليحيطوه ويراقبوا تصرفاته واتصالاته وينفذوا أوامرها !

ثم بعثت إليهم بمجموعة من الأوامر والتعليمات !

كان الأمر الأول : العمل على تأجيل سفر طلال إلى الإسكندرية .

وتأجل السفر بالفعل ، وحجز الخدم لطلال ، جناحا في فندق هيلوبوليس بالاس وكان الجناح يقع فوق النادي الليلي حيث الموسيقى الصاخبة التي لا تهدأ ! وكانوا يقنعونه بارتياد النادي ، مدعين بأن تعليمات الطبيب هي : الترفيه عنه !

وفي النادي الليلي ، كانوا يقدمون له الخمر إلى أن يغيب عن صوابه ، وعندئذ يسهل عليهم إقناعه بعمل أي شيء ! كالرقص ، أو خلع ملابسه قطعة قطعة ! أو الغناء بصوت مرتفع ! إلى آخر هذه التصرفات التي لا يمكن أن تصدر عن إنسان عاقل !

واستمر الخدم على هذا الحال .

وراحوا يرسلون التقارير إلى الملكة زين عن تدهور صحة طلال ! كما بعثوا إليها بعشرات الصور المشينة التي التقطت له ، وهو في حالات السكر البين !

ثم ..... .

جاء بعد ذلك ، الأمر الثاني ، من الملكة زين .

طلبت الملكة من الخدم ، عدم السماح للملك بمغادرة غرفته ، أي حبسه في الغرفة ! حتى تضيق نفسه ، ويقدم على تصرفات توحي للناس بأنه مجنون ، وتؤكد ما تقوله الملكة !

ونفذ الأمر الثاني ، وتحقق هدف زين من ورائه .

ثم ... .

بعثت الملكة زين ، بعد ذلك بالأمر الثالث .

كان هذا الأمر الجديد ، يقضي بترحيل طلال إلى الإسكندرية !

وسافر طلال إلى الإسكندرية ، وحجز له جناح في فندق سان استفانو ، وبدأ الخدم ينفذون ما جاء بالأمر الثالث .

كانوا يخرجون به يوميا ، في رحلات بعيدة شاقة ترهق أعصاب أي إنسان عادي !

وكانوا يتركونه أياما كثيرة وحيدا في غرفته .

وذات يوم ، غادر طلال غرفته ، وفتح باب الغرفة

المجاورة ، ظنا منه أنها غرفة أحد خدمه ، كما قيل له ، ففوجئ بنزيل آخر ، وليس الخادم !

وأثار هذا الحادث ، ضجة كبيرة بالفندق ، استغلها الخدم الذين بعثت بهم الملكة زين في إيهام النزلاء ، بأن طلال مجنون مائة في المائة .

. ...

وقد كان عوني عبد الهادي ، سفير الأردن في القاهرة ، هو حلقة الاتصال بين الملكة زين ، والخدم المحيطين بطلال .

وكان عوني عبد الهادي ، يشرف بنفسه على تنفيذ جانب من التعليمات والخطط التي ترسلها الملكة زين !

مثلا :

اشترى لنشا بحريا ، وكان يدعو الملك للقيام برحلات – منفردة – به ، عندما يرى الراية السوداء ، التي لا ترفع إلا في حالة هياج البحر الشديد !

وكان طلال ينجو من كل رحلة من هذه الرحلات ، بأعجوبة ! وكان صراعه مع الموج في كل رحلة ، يرهق أعصابه . ويجعله في حالة سيئة للغاية ، الأمر الذي جعله يطلب – بنفسه – إعادته إلى مستشفى بهمان ، ليريح أعصابه !

وأبلغ الخدم السفير عوني عبد الهادي برغبة الملك ، فاتصل بدوره بالملكة زين التي أصدرت أمرا جديدا ، هو : أن يتولى

الملك بنفسه قيادة السيارة من الإسكندرية إلى حلوان حيث يقع المستشفى !

ونفذ الخدم تعليمات الملكة !

وتولى الملك قيادة السيارة ، ووقع الحادث ، الذي كاد يفقده حياته !

. ...

روى لي الملك طلال كل هذه الوقائع عندما دخلت إلى غرفته بقصر العيني حيث كان يعالج بعد وقوع الحادث مباشرة ثم أخذ يملي علي تفصيلات جديدة ، وهو يقول :

– احرص على جمع هذه المعلومات ، فليس لي من وسيلة لتوضيحها وإذاعتها ، إلا أنت !

* * *

سألني الملك طلال :

– هل تعلم كيف وقع لي حادث السيارة ؟

وقبل أن أجيب مضى يروي القصة ، قال :

كنت أقود السيارة بسرعة كعادتي .

وكانت أعصابي مرهقة مما كان يفرضه علي الخدم ، الذين بعثت بهم زين ليرافقوني في كل مكان أذهب إليه .

وبعد « الرست هاوس » بثلاثين كيلو تقريبا ، سمعت أحد الخدم يصيح :

– حاسب يا سيدنا !

وجعل الخادم يرتفع بصوته وهو يردد كلمة حاسب ثم تبعه باقي الخدم في ترديد نفس الكلمة على نفس الصورة فثرت في وجوههم وأمرتهم بعدم الكلام !

غير أن أحدهم صرخ طالبا تخفيف السرعة وقال لي : إن حياتك في خطر .

والتفت إليه ، وقلت : اخرس !

في هذه اللحظة ، خرج نصف السيارة عن طريق الأسفلت ، ودارت العجلة الخلفية اليمنى وغاصت في الرمال .

ولم أعرف بعد ذلك ، ماذا حدث لي .

وعندما أفقت ، وعدت إلى صوابي ، وجدت نفسي في مستشفى قصر العيني .

بين طلال وزين

بعد ثلاثة أيام ، من وقوع الحادث فوجئت بزين تقف أمامي !

كان وجودها مفاجأة لا أتوقعها !

ولم أنطق بكلمة واحدة ، بل جعلت أنظر إليها ، وأقرأ على قسمات وجهها ، مجموعة الحوادث القذرة التي رسمتها لي !

ثم صحت في وجهها : لماذا جئت ؟

قالت والنفاق يقفز من فمها ، ليسبق كلامها ويمهد له الطريق :

– لكي أطمئن على صحتك !

وانتابتني مجموعة من المشاعر ، هل أبصق في وجهها ؟ هل أطردها من الغرفة ؟ هل أشوه وجهها ؟ هل أقذف بها من النافذة ؟

وتمالكت نفسي بصعوبة ، وقلت لها :

– ألست السبب في كل ما حدث لي ؟ ألم يكن خروجي

من الأردن بأمر منك ؟ ألست السبب في إبعادي عن أولادي ؟ ألا تخشين الله ؟

وجلست زين على طرف سريري وجعلت تستعطفني ، ثم انحنت وقبلت يدي ثم قبلت يدي مرة ثانية ، وهي تقول بنفس طريقتها في النفاق المكشوف :

– إن هذه القبلة الثانية ، من ولدك حسين ، لقد طلب إلي ذلك ! وقد كان يود الحضور معي للاطمئنان عليك ، ولكن مشاغل الدولة ، كما تعلم ، كثيرة ، كثيرة جدا !

وضحكت وأنا أبعد وجهي عنها ، وقلت :

– مسكينة هذه الدولة ! يرحمها الله !

وبدت زين كما لو كانت تجهل ما أعنيه ، ثم قالت :

– هل أنت مرتاح هنا ؟

قلت لها :

– لا توجهي إلي مثل هذه الأسئلة الاستفزازية ! كيف تطلبين أن أكون مرتاحا ، وأنا يوما في مستشفى المجانين بأوامرك ! ويوما بين أيدي الخدم ، بأوامرك !

ماذا فعلت لك ، حتى تنتقمي مني كل هذا الانتقام ؟

وجاء أحد الأطباء ، في تلك اللحظة وسألني :

– هل نمت نوما هادئا ؟

فأجبته بالإيجاب ، ولكني رويت له حلما مزعجا ، رأيت فيه أولادي يذبحون واحدا أثر الآخر ؟

فهدأني الطبيب ، وقالت زين :

– اطمئن ، إنهم في حماي !

فقلت في سخرية :

– إن وجودهم في حماك ، هو ما يشغلني عليهم ! وما يجعلني أتوقع لهم أسوأ مصير !

وفجأة .

دخل عدد كبير من المرافقين الذين جاءوا مع زين من عمان ، فقد كانت أصدرت إليهم أمرا بدخول الغرفة إذا زادت فترة بقائها معي عن ربع ساعة !

وصحت في المرافقين :

– من أمركم بالدخول إلى هنا !

وسكتوا جميعا .

فطلبت إليهم مغادرة الغرفة على الفور .

ومع ذلك .

ظلوا كما هم ، حول سريري !

في هذه الأثناء وصل الأمير عبد الاله ولي عهد العراق ، للاطمئنان على صحتي !

وتحدثت إليه قليلا ، ثم شعرت بتعب فسكت !

أما زين ، فقد انتحت جانبا بالأمير عبد الإله ، وجعلت تتحدث إليه باللغة التركية !

وغادر الاثنان الغرفة ، دون أن يلتفتا إلي لتحيتي !

يالوقاحتهما ! لماذا جاءا إذن إلى المستشفى ؟ هل كانا يطمعان في أن يقال لهما : إنني على أبواب القبر ؟ هل أفسدت خططهما عندما نجوت من الموت ؟

وعادت زين إلى عمان .

وعاد عبد الإله إلى بغداد .

وعلمت فيما بعد أنهما طلبا إلى الدكتور عبد الله علي الأستاذ بكلية طب قصر العيني ، نقلي إلى مستشفى بهمان فأفهمهما الدكتور علي ، أن ذلك يعني وفاتي ! فألحا في نقلي ، وقالا له : نحن نتحمل المسئولية !

فرد عليهم قائلا : أنا كطبيب أرفض تنفيذ هذا الطلب !

وحــدي

كنت أرقد في الغرفة رقم 2 بسطوح قصر العيني ، وكان رقمي كمريض 994 !

كانت يدي اليسرى في الجبس ، وكنت أحقن كل 3

ساعات بالبنسلين بمعدل نصف مليون وحدة في الحقنة الواحدة ، وكنت رغم كل ذلك ، أدخن يوميا أكثر من مائتي سيجارة رغم نصائح الأطباء !

وبعد عدة أيام ، نقلت إلى مستشفى فؤاد الملحق بقصر العيني الجديد ، ووضعت في جناح قسم الرمد رقم 10 ، تحت إشراف الأطباء : عبد الله علي ، يوسف جنينة ، مصطفى السماع ، متولي تحفة ، نسيم بشارة وفيكتور أمين ، وكان ذلك بأمر من الحكومة المصرية ، التي كانت تعاملني بمنتهى الرقة والكرم ، وكان وزير الصحة الدكتور نور الدين طراف يزورني كل يوم ليطمئن بنفسه على حالتي ، ويناقش الأطباء في الطريقة التي يتبعونها في علاجي .

وذات يوم ، زارني السفير عوني عبد الهادي ليقول لي :

– الملكة زين والملك حسين سافرا إلى الرياض في زيارة رسمية ! وأنهما قررا زيارتي في طريق عودتهما من الرياض !

وكنت ثائرا فقلت له : لا أريد أن أرى أياً منهما !

وانصرف السفير .

مع المرضى

مرت الأيام بطيئة قاسية .

ومضى شهر ونصف ، وأنا أرقد فوق سريري بالمستشفى !

ثم سمح لي الأطباء بعد ذلك بأن أتمشى لمدة عشر دقائق كل يوم على كرسي متحرك .

وفي أول يوم ، نفذت فيه تعليمات الأطباء فوجئت بعدد كبير من المرضى ، يتجمعون حولي ويصفقون لي !

وتأثرت تأثرا شديدا ، بهذه المشاعر الرقيقة ، فارتجلت كلمة سريعة في شكرهم قلت في نهايتها :

– أرجو أن يأتي اليوم الذي أشترك فيه مع أحرار الأردن في تحريره من الاستعمار ، ومن الخونة الذين يتعاونون معه !

ثم عدت إلى غرفتي مسرعا ، فقد غلبني التأثر ، وجعلت أبكي !

لماذا كنت أبكي ؟

كنت أبكي ، لأنني أعلم أنني لن أستطيع العودة إلى الأردن ! ولن أستطيع أن أشترك في تحرير الأردن ! ولن أستطيع أن أبعد عن الأذهان الصفة التي ألصقتها بي زين ، صفة الرجل المريض ، المجنون !

الفصل الرابع
في تركيا

نقل إلى سكرنيري ، رغبة عدد كبير من الأطباء المصريين ، في وضعي تحت مباشرتهم لمدة أسبوعين ، حتى أعود سليما معافى .

وقال لي : إن ما دفع الأطباء المصريين إلى ذلك هو تأثرهم بالكلمة التي ألقيتها بين المرضى .

ووافقت على الفور .

ولكن ، حدث أمر غريب !

فقد نقل أحد جواسيس عوني عبد الهادي الذين كانوا ينتشرون في المستشفى ، نقل إليه أنني سأبدأ علاجا جديدا ، تحت إشراف الأطباء المصريين ، فقام على الفور بإبلاغ ذلك إلى زين وحسين ، ففوجئت في اليوم التالي مباشرة بوصول الشريف ناصر والدكتور شوكت الساطي والسيد عبده فرج ، وكان ذلك يوم 14 أغسطس عام 1953 بالتحديد .

واستأذنني الدكتور الساطي في الانفراد بي ، فلم أمانع .

وفوجئت بالساطي ، وهو أحد أعوان زين كما تأكد لي فيما بعد فوجئت به يطلب موافقتي على الانتقال إلى تركيا ، لاستكمال علاجي هناك !

وثرت في وجهه .

غير أن الشريف ناصر ، تدخل في الحديث ، وكرر نفس كلام الدكتور الساطي ، وأفهمني أنه لا مناص من الموافقة .

ثم غادر غرفتي ، بعد أن قال ناصر إن نقلي إلى تركيا ، سيتم غدا !

ماذا أفعل ؟

ماذا يملك رجل مريض ، يده ما زالت في الجبس ، وجسمه محطم فوق السرير ولا يستطيع السير إلا فوق كرسي متحرك ، ماذا يملك أن يفعل ؟

وسهرت ، في انتظار الغد القاتم !

لم أنم !

وانتابتني حالة من الأرق ، لم أمر بها في حياتي ، حتى يوم تنازلت عن العرش ، لم أشعر بمثل هذا الأرق !

كنت أفكر فيما ينتظرني صباح الغد ، 15 أغسطس عام 1953 !

كانت أنفاسي تخرج بصعوبة ومشقة ، وفي كل دقيقة ، كنت أشعل سيجارة جديدة ، فقد تصورت أن التدخين قد يساعدني على التنفس !

وقفزت إلى ذهني ، عدة أفكار .

فكرت في الاتصال بالسلطات المصرية ، لحمايتي ، ومنع

شقيق زين ناصر . من الاقتراب مني !!! ولكن ، كيف أتصل بالسلطات المصرية ، وأنا بهذا الشكل ؟

كيف أتصل ، وليس في غرفتي تليفون ، أو أية وسيلة أخرى ، للفت النظر ، أو الاستنجاد ؟

فكرت في أن أبعث برسالة خاصة ، مع سكرتيري ، إلى وزير الداخلية المصرية ، أطلب فيها حراستي ، ومنع ناصر من الاقتراب مني ! ولكن من يدري ، ربما كان السكرتير أيضا ، أحد رجال الملكة زين ؟

فكرت في أن أصرخ ، وأصرخ ، لعل صراخي يصل إلى النتيجة التي أسعى إليها ، ولكن ، أليس من الجائز . أن يؤدي صراخي ، إلى تأكيد إشاعة جنوني !

فكرت في أن أطلب إلى إدارة المستشفى منع ناصر . من الاقتراب مني ! ولكن . أليس من الجائز ، أن تخذلني إدارة المستشفى ؟

وبدأت أقنع نفسي ، بالاستسلام للمصير المنتظر .

غير أني لم أتمكن من إبعاد عدة صور ، عن مخيلتي !

الصورة الأولى : تخيلت فيها الطائرة التي تقلني من القاهرة إلى إستانبول ، تحترق ، بعد أن وضع فيها ناصر . قنبلة زمنية !

والصورة الثانية : تخيلت فيها ناصر . يقتحم غرفتي ، وفي يده مسدسه ، ثم يطلقه علي ، ويلقيه إلى جواري ليزعم فيما بعد ، أنني قد انتحرت !

والصورة الثالثة : تخيلت فيها نفسي ، في مستشفى الأمراض العقلية في إستانبول !

والصورة الرابعة : تخيلت فيها نفسي ، سجين بيت مهجور لا يزاملني فيه سوى حارس تركي متعجرف ، لا يحاول الاستماع إلى ما أرويه له !

وبدأت خيوط الفجر ، تتسرب إلى غرفتي ، فتضيء أركانا منها .

وبدأت أهيئ نفسي للساعات القادمة .

في إستانبول

الساعة الثامنة صباحا .

وأنا أشعر بحركة غير عادية ، خارج غرفتي .

وفجأة .

فتح باب الغرفة ، ودخل ناصر ، والسفير عوني عبداهادي ، وعدد كبير من المرافقين .

وقال لي ناصر ، في لهجة الأمر :

– أمامك نصف ساعة لترتدي ملابسك .

ثم التفت إلى أحد مرافقيه ، وقال :

– وسيساعدك فيصل في ارتداء ملابسك !

وغادروا جميعا الغرفة ، ولم يتركوا سوى هذا الرجل .... فيصل !

وبدون مناسبة ، وجدت الرجل ، يخرج مسدسا من جيبه ، ويضعه فوق المنضدة الصغيرة ، أمام سريري .

ثم ضحك الرجل بشكل هستيري ، وقال :

– إن المسدس يضايقني كثيرا عند الجلوس ، هل تسمح لي جلالتك ، بوضعه على المائدة ؟

ولم أتكلم !

ولكني فهمت المقصود ، بوضع المسدس أمامي ، فضغطت على الجرس المعلق فوق سريري ، فهب الرجل واقفا ، ويده تمتد إلى المسدس ! فهدأته قائلا :

– لا تخف ، لن استنجد بأحد ! إنني أطلب إحدى الممرضات ، لتساعدني في ارتداء ملابسي !

ورد الرجل بصوت جاف :

– لن يساعدك غيري !

وارتديت ملابسي ، وعلى أيدي ناصر ، وصبحي طوقان ، اتكأت ، حتى وصلت إلى السيارة التي ستقلني إلى المطار .

وفي المطار ، علمت أن إحدى طائرات شركة مصر للطيران ، سوف تنقلني إلى إستانبول .

ورفضت أن أحيي السفير عوني عبد الهادي ، عندما وجدته أمام الطائرة ، وصعدت إلى الطائرة مع سكرتيري فقط !

وطوال الفترة التي استغرقتها الرحلة من القاهرة إلى إستانبول ، لم أفتح فمي بكلمة واحدة ، ولم أتناول أي طعام ... واكتفيت بالسجائر فقط !

ووصلت الطائرة إلى إستانبول .

وفي المطار ، وجدت جموعا كثيرة في انتظاري ، ووجدت أيضا حرس الشرف التركي !

وحييت الجميع بسرعة ، ثم ركبت السيارة مع البروفسير فخر الدين جوجاي والي إستانبول ، والدكتور محمد حجازي القائم بأعمال السفارة الأردنية ، واتجهنا إلى القصر المعد لي !

وما حدث في القاهرة ، حدث في إستانبول . فقد فوجئت بأن القصر المنتظر ، ليس إلا مستشفى للأمراض العقلية !

ولم أحاول الاحتجاج ، فماذا يفيد الاحتجاج ، أو حتى الصراخ ؟

وقدم لي والي إستانبول ، مدير المستشفى الدكتور عاصم أنور ، الذي جلس يشرح لي الترتيبات التي أعدت لي .

قال :

– لقد خصصت الغرفة رقم 22 بالمستشفى لإقامتك ، وخصصت الغرفة المجاورة لها لتكون صالونا خاصا ، كما

خصصت عدة غرف للمرافق الخاص والحرس ، والأطباء الخصوصيين .

وبدأ الطبيب ، في سرد عبارات الترحيب المعتادة ، وأنا سارح الفكر ، فقد كنت أستعيد صور الحوادث التي مررت بها ، وكنت أفكر في الحوادث القادمة !

ماذا أفعل ؟

كيف أخرج من هذا السجن الجديد ؟

من يفهمني ؟ من ينقذني ؟

يا رب ... يا رب ... افعل شيئا من أجلي !

وأفقت من الصور القاتمة التي كنت أعيش فيها ، لأجد طبيبا جديدا ، يطلب إلي الذهاب إلى غرفتي لكي أستريح ؟

ونظرت إلى الطبيب ، في غيظ ، وقلت له : ابعد عني ، لا تقترب مني ، إنني سأجن فعلا ، إذا بقيت في هذا المكان !

وضحك الطبيب ، ثم تركني .

وازداد غيظي .

وجاء مرافقي ، وطلب إلي هو الآخر أن أذهب إلى غرفتي للراحة .

وذهبت .

تصرفات غريبة

يقول سكرتير الملك طلال :

سكت الملك طلال ، عندما وصل بسرده للحوادث إلى اليوم الأول له في مستشفى الأمراض العقلية بإستانبول ، ثم قال لي :

– لعلك تذكر ما حدث بعد ذلك ؟

قلت : نعم ، أذكر كل شيء !

قال : اكتب أنت ما حدث ، ثم اقرأه لي .

ونظرت إليه مستغربا ! فقال لي :

– سأنام الآن ، ولنتقابل غدا .

وتركت طلال وحده .

وذهبت إلى غرفتي ، أفكر ماذا أكتب ؟ لقد بدأت ألحظ تغيرا كبيرا على طلال ! إن تصرفاته لم تعد تتسم بالاتزان كما كانت فماذا حدث له ؟ هل تأثرت أعصابه أخيرا ؟ هل بدأ هدف الملكة زين يتحقق ؟ هل يسير طلال فعلا في طريق الجنون ؟

والتزمت جانب الحياد التام ، ثم رحت أسجل ما رأيته .

فوجئ الملك طلال ، عند وصوله إلى مستشفى الأمراض

العقلية بإستانبول بعدد غير قليل من رجال البوليس السري ينتظرونه ! وتقدموا منه واحدا إثر الآخر ، يصافحونه ، ويهنئونه بسلامة الوصول ، ثم أفهموه بأن مهمتهم هي : البقاء إلى جواره ، حتى تنتهي فترة العلاج !

وتغير وجه طلال ، تحول لونه إلى خليط من اللونين الأزرق والأخضر ، وتلعثمت الكلمات في فمه ، وتركهم ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، أو يرد تحية أي منهم !

ويبدو أن هذا الفتور الذي أبداه الملك طلال ، نحو رجال البوليس التركي ، كان له أثر سيئ في نفوسهم ، فقد فوجئنا بعد دقائق ، بصوت رجال البوليس يرتفع ، ويصيح أحدهم في وجه أحد الأطباء : هذا المريض ممنوع من الاتصال ، بأي إنسان ، إنه خطر ، خطر جدا ، إنه مجنون !

واستمع طلال إلى هذا الكلام ، فازداد شحوب وجهه .

● ومرت بضع دقائق ، ثو فوجئنا بتصرف آخر ، لقد أمر الضباط بعض الجنود ، بوضع حاجز أمام غرفة الملك ، حتى لا يستطيع مغادرتها ، أو الهروب منها !

ورأى الملك طلال – بنفسه – هذا الحاجز يوضع أمامه .

● واستدعى الملك إحدى الممرضات ، وطلب إليها وضع جهاز للراديو ، في غرفته ، فابتسمت الممرضة ، ولم تجبه ، ثم ذهبت إلى أحد الضباط ، ونقلت إليه رغبة طلال ، فصاح الضابط في وجهها : ممنوع !

وسمع طلال رد الضابط .

ومضت ساعة ، كان طلال قد « تسمر » خلالها فوق مقعده ، وانتهى من تدخين أكثر من 20 سيجارة !

● وطلب إلي طلال ، إحضار بعض الصحف ، فذهبت إلى أحد الضباط طالبا معاونته في الحصول على الصحف ، فقال لي : غير مسموح للملك بقراءة الصحف !

فسألته : من أصدر هذا الأمر ؟

وفي وقاحة ، أجاب الضابط : أنا !

وثرت في وجهه ، وأبعدته عن طريقي ، وقلت : سأذهب - بنفسي - لشراء الصحف ! وأمسكني الضابط من يدي ، وقال : وأنت أيضا ، غير مسموح لك بقراءة الصحف !

وازدادت ثورتي ، وكدت أضرب الضابط ، لولا أن الملك طلال ، الذي استمع إلى مناقشتي مع الضابط ، منعني من ذلك !

● وبعد فترة قصيرة ، جاء مدير المستشفى إلى طلال ليسأله : لماذا لم ينم حتى الآن ؟

وثار الملك في وجه مدير المستشفى ، وهاجم تصرفات ضباط البوليس ، وبدأ ينطق بكلمات غير مفهومة . علمت فيما بعد أنها شتائم تركية !

واحتفظ مدير المستشفى بهدوئه فترة ثم ثار هو الآخر في

وجه الملك ، وقال له : أحب أن أقول لك ، إننا هنا ننفذ تعليمات الملكة زين ، والملك حسين !

فقال الملك في استعطاف : وأين رحمتكم ؟

ولم يرد الطبيب .

ثم قام الملك بعد فترة قصيرة ، يتوكأ على يدي ، وسار في بطء إلى أن بلغ غرفة نومه .

وجلس الملك فوق السرير وظل يبكي بصوت مرتفع ، بلغ أسماع عدد كبير من المستشفى .

ثم مرت فترة صمت قصيرة ، فوجئت بعدها بالملك ، يغني أغنية تركية يحبها ، مطلعها « أسكو دار جيت أركان » وجعل يعلو بصوته رويدا رويدا ، إلى أن ارتفع بشكل غير عادي فذهبت إليه لأذكره بأننا في مستشفى ، فلم يستمع إلي واستمر يعلو بصوته !

وبعد ساعة تقريبا ، عاد الملك إلى صمته .

ومرت بضع دقائق ثم راح الملك يبكي بكاءً شديدًا !

واحترت : ماذا أفعل ؟ هل أتركه على هذا الحال ؟ أم أهدئه !

وكيف يمكن أن يهدأ ! هل أستعين بالأطباء ؟ هل أبرق إلى عمان بتطورات حالته !

وأنقذني الملك من حيرتي ، عندما عاد إلى حالته الطبيعية ، بعد فترة قصيرة ، وقال لي إنه قرر أن ينام !

الإضراب عن الطعام

وجاء اليوم التالي .

واستيقظ الملك طلال يغني .

وذهب إليه الأطباء بسرعة ، فأمرهم بالجلوس حتى ينتهي من الغناء !

وجلس الأطباء .

وانتهى الملك من الغناء .

ثم ذهب إليهم ، وصافحهم في حرارة وجعل يتحدث إليهم حديثا عاديا ، لا يختلف عن حديث أي رجل عاقل متزن

واحتار الأطباء .

وفجأة ، وقف طلال ، وأمرهم جميعا بمغادرة غرفته ، أعلن أنه قرر الإضراب عن الطعام ، إلى أن يسمح بالخروج !

وازدادت حيرة الأطباء .

وجاء مدير المستشفى ، ليفحص طلال – بنفسه – غير أ طلال ، رفض السماح له بفحصه .

وحاول المدير إقناع الملك بتناول الطعام فرفض !

ثم صاح في وجه مدير المستشفى ، طالبا إليه ، مغاد غرفته .

واضطر مدير المستشفى ، إلى مغادرة الغرفة .

وبقي طلال وحده ، يغني حينا ، ويبكي أحيانا ، ثم يتحدث إلى نفسه .

واستمر طلال على هذا الحال ثلاثة أيام كاملة ، كان لا يتناول خلالها سوى الماء ، ويدخن مئات السجائر !

وفي صباح اليوم الرابع ، أصدر مدير المستشفى أمرا إلى ممرضيه باقتحام غرفة طلال ، والإمساك به بالقوة ، ثم إعطائه بعض الحقن ، ذات القيمة الغذائية .

ونفذ الأمر .

وفي مساء اليوم نفسه ، أصدر المدير أمرا آخر ، يقضي بالسماح لطلال بالتنزه خارج المستشفى ، في فترة الصباح ، من كل يوم .

وأبلغ الملك طلال بالقرار ، فارتفعت روحه المعنوية ، وعاد إلى هدوئه واتزانه .

الفصل الخامس

ذكريات

يقول الملك طلال :

سمح لي بالخروج ، لأول مرة ، من المستشفى .

واحترت أين أذهب ؟

إنني أعرف إستانبول جيدا ، وأعرف أماكن جميلة ، ترددت عليها مرارا من قبل ، وأعرف عددا غير قليل من الأصدقاء .

فهل أتصل بهم ، وهل أذهب إلى الأماكن التي أعرفها ؟

ولم أتخذ قرارا، بل خرجت إلى شرفة حجرتي المطلة على البسفور ، وبدأت أعود بذاكرتي إلى الوراء ، إلى المرة الأولى التي زرت فيها إستانبول .

كان ذلك عام 1947 . وكنت وليا لعهد الأردن ، واقترحت على زين تمضية أجازة طويلة في تركيا ، فوافقت على الفور .

وسافرنا إلى إستانبول ، وحجز لي سفير الأردن المرحوم عمر زكي الأقيوني ، جناحا في فندق بارك ، قضيت فيه أياما كانت من أجمل أيام حياتي .

غير أني سمعت خبرا ، قاله السفير الأردني ، ضمن حديث

طويل معي بعد أن مضى أسبوع تقريبا على وصولي . آلمني أشد الألم ، واضطررت معه إلى العودة إلى الأردن !

ما هو هذا الخبر ؟

لقد قال لي السفير ، إن والدي الملك عبد الله أرسل جميع أفراد العائلة الهاشمية إلى تركيا ، ليتعلموا اللغة التركية ! وأرسل أخي الأمير نايف ليكون ياورا لرئيس جمهورية تركيا ، لمدة عامين ، حتى يتعلم عنه فنون الدبلوماسية والعسكرية !

وتذكرت أوامر والدي – عبد الله – لكل من في قصره ، بعدم التحدث باللغة العربية ، والتحدث – باستمرار – باللغة التركية !

وتذكرت المناقشات التي كانت تدور بين – والدي – وبين الأمير عبد الإله ، الوصي على عرش العراق وقتئذ ، باللغة التركية ، وكيف كنت أنسحب احتجاجا ، عندما تدور هذه المناقشات أمامي !

تذكرت كل هذا ، وأنا أستمع إلى السفير زكي الأقيوني ، فلم أتمالك أعصابي ، ووجهت كلاما قاسيا إلى والدي ، وإلى العائلة الهاشمية كلها ، وإلى تركيا أيضا !

وقررت قطع إجازتي ، والعودة إلى عمان ، لأطلب إلى الملك عبد الله سحب جميع أفراد العائلة من تركيا !

. ...

ورجعت بذاكرتي إلى تلك الفترة التي أعقبتها حرب فلسطين وعشت في أحداثها .

وفجأة : جاءني مدير المستشفى وقال :

– لقد سمحنا لك بالتنزه خارج المستشفى ومع ذلك لا تزال جالسا في غرفتك ! يبدو أنك لا تريد النزهة !

وقفزت واقفا ، وقلت له : سأخرج حالا ! فقد خشيت أن يسحب قراره .

وارتديت ملابسي في عجل ، ثم استدعيت سكرتيري ، وخرجنا .

كانت الساعة قد قاربت التاسعة صباحا ، وكان الهدوء يخيم على المنطقة التي يقع بها المستشفى ، ومشينا طويلا ، إلى أن عثرنا على سيارة تاكسي فأوقفناها ، وطلبنا إلى السائق أن يتجه إلى نهاية البسفور .

وقبل أن يصل السائق ، تذكرت أنني لا أحمل ليرة تركية واحدة ، فقد منعت عني زين النقود ، ورفضت تخصيص سيارة لي ، وأمرت بحبسي داخل المستشفى !

وقلت للسكرتير : هل معك نقود ؟

فأجاب بالإيجاب ، وتنفست الصعداء .

وعدت من جديد ، إلى ذكريات الماضي ذكريات الفترة الأولى ، لانتقام زين مني .

كنت في سويسرا ، في مصح ، أيضا للأمراض العقلية .

وكان يرافقني في المصح ، السيد عبده فريج ، أحد رجال الملكة زين !

وكانت زين ، تمعن في تعذيبي . فكانت تأمر عبده فريج بأن يصرف لي مبلغا يوازي سبعة قروش أردنية ، صباح كل يوم ! كان هذا المبلغ لا يكفي لشراء علبة سجائر ، بل لا يكفي لشراء برتقالة واحدة في سويسرا ، وكنت ألجأ إلى رجال المصح ليقرضوني ثمن السجائر !

وتذكرت قصة تخلصي من ذلك المصح .

زارني ذات يوم ، صحفي سويسري ، وجلس يتحدث إلي أكثر من 4 ساعات ، وجه إلي خلالها أكثر من مائتي سؤال وأجبته عليها جميعا .

ونشر الصحفي حديثه معي كما دار بالنص ، وختمه مطالبا إدارة المصح بالعمل فورا على إخراجي منه ! ثم هدد بمقاضاتها في حالة عدم إجابة مطلبه !

واضطرت إدارة المصح إلى الاستجابة لمطلب الصحفي وسمحت لي بمغادرة المصح على الفور .

وهكذا ، فشلت مؤامرة زين الأولى ، المؤامرة التي اشترك في إعدادها ، والإشراف على تنفيذها « جلالة والدي ، الملك عبد الله .. » .

ووقفت سيارة التاكسي ، فقد كنا قد بلغنا نهاية البسفور .

وقضيت ساعات طويلة ، جالسا في كازينو « جنة بلك » أي جنة الأسماك ، وكان يقع في ضاحية « بيوك دره » .

وعندما جاء الليل ، اقترحت على مرافقي ، المبيت في أحد الفنادق ، غير أنه اضطر للاعتذار عن إجابة رغبتي ، بحجة أن ما معه من نقود ، لا يسمح بذلك !

وعدنا إلى مستشفى الأمراض العقلية !

الفصل السادس

تعليمات جديدة

في أواخر عام 1954 ، زارني الشريف حيدر عبد المجيد سفير الأردن في لندن .

وجلست مع السفير ساعات طويلة أطلعته خلالها على ما حدث لي بالضبط .

وعاد السفير إلى عمان .

وطلب مقابلة عاجلة ، مع الملكة زين والملك حسين !

وتمت المقابلة ، فشرح السفير ، للملكة والملك ، حالتي الصحية ، وقال لهما إنني أتمتع بكامل قواي العقلية ، وطالب في نهاية المقابلة ، بالإسراع بإخراجي من المستشفى ، وإعادتي إلى عمان !

وثارت الملكة زين في وجه السفير ، وأمرته بمغادرة القصر فورا .

وغادر القصر ، وقد صمم على فضح مؤامرة الملكة .

وبالفعل أذاع السفير ، في كل مكان ، قصة مقابلته للملكة وطفلها الملك حسين !

وكادت الملكة تجن فرسمت خطة جديدة للانتقام مني ،

بعثت بها في رسالة سرية طويلة إلى رئيس الجمهورية التركية الذي عهد إلى والي إستانبول البروفسور فخر الدين كوجاي . بمقابلة مدير المستشفى على الفور ، وإبلاغه التعليمات الآتية :

- عدم السماح لي بمخالطة أي شخص بما في ذلك نزلاء المستشفى .
- عدم السماح لي بمقابلة الصحفيين أو المصورين .
- عدم السماح لي بالحديث مع الممرضات .
- عدم السماح لي بالقراءة ، أو الاستماع إلى الراديو .
- عدم السماح لي بالتنزه .
- عدم تقديم المشروبات الروحية .

وأخيرا .

- عدم السماح لأي أردني بمقابلتي إلا إذا كان يحمل تصريحا موقعا عليه من الملكة زين ، شخصيا !

وعدت ، كما كنت ، سجينا في مستشفى الأمراض العقلية !

ولكـــن .... .

يبدو أن ضمير مدير المستشفى استيقظ فجأة ، فقد جاءني ذات يوم ، وقال لي : إنه قرر أن يقدم على عمل ، قد يؤدي إلى سجنه !

ما هو هذا العمل ؟

لقد قرر الطبيب تصوير رأسي بالأشعة وإعادة فحصي بالمعدات الحديثة التي وصلته ، وسيعلن بعد ذلك ، موقفه النهائي مني !

وحدد الطبيب موعدا لهذا الفحص .

وجاء اليوم المحدد وظل الطبيب يفحصني ، ويصور رأسي ، أكثر من ست ساعات ، قال لي بعدها : إنه سيبلغني بالنتيجة ، في اليوم التالي مباشرة .

وجاء اليوم التالي .

وظهرت النتيجة ، وجاءني الطبيب ، ليبلغني أن قواي العقلية سليمة ، وأن أعصابي طبيعية ، والسبب الوحيد لاضطرابها بين الحين والآخر ، هو البعد عن الوطن !

ثم قال الطبيب : لو تعاونت الأسرة المالكة في عمان معنا – كأطباء – فمن الممكن جدا عودتك إلى حياتك الطبيعية خلال أسبوع واحد !

ولكن ، هل يمكن أن يحدث ذلك ؟

هل يمكن أن توافق زين ، وطفلها الملك ، على عودتي إلى عمان ؟

قطعا : لا ! !

وبقيت في مستشفى الأمراض العقلية !!!

وعد جديد

في أواخر ديسمبر عام 1954 ، علمت أن الملكة زين وطفلها الملك ، وصلا إلى تركيا ، في زيارة رسمية ، تستغرق أسبوعين .

وتوقعت أن يزوراني في اليوم الأول لوصولهما ، أو اليوم الثاني على الأكثر .

ولكن ... مضى الأسبوع الأول ، والأسبوع الثاني وانتهت مدة زيارتهما لتركيا ، ولم يفكر أي منهما في مجرد السؤال عني .

وفي يوم رحيلهما إلى عمان اتصل بي الدكتور شوكت الساطي ، طبيبي السابق وأخلص رجال الملكة زين ! وأبلغني أن الملكة والملك ، قررا زيارتي .

وفي الساعة العاشرة صباحا ، فتح باب غرفتي ، ودخل الملك والملكة والشريف ناصر وخالتي الأميرة فاطمة .

وتبادلوا معي التحيات « الباردة » ، ثم سألني حسين :

– كيف الحال ؟

قلت له : إن تقارير الأطباء ، تؤكد أن صحتي على خير ما يرام ، وإن حالتي طبيعية جدا ، فلماذا لا تعيدوني إلى عمان ؟

وتظاهر حسين بالاهتمام ، أما زين فقد بدا على وجهها القلق الشديد .

وعدت أقول موجها الكلام لحسين : لماذا لا تعيدونني إلى عمان ؟

قال حسين : إن شاء الله !

قلت : متى ... حدد الآن موعدا لإعادتي !

قال : سوف أسافر إلى لندن للعلاج وبعد ذلك سأعود إلى إستانبول لأرافقك إلى عمان !

قلت له : هل تقسم على ذلك !

قال : بشرفي ، « وشرف أمي » ! !

وضحكت !

وانتهت الزيارة بعد 12 دقيقة بالضبط !

ومضى أسبوعان .

وأرسلت خطابا إلى حسين في لندن ، أذكره بوعده ، ثم أرفقت بالخطاب تقريرا عن حالتي الصحية .

ولم يصلني أي رد !

وأرسل مدير المستشفى خطابا آخر ، وتقريرا آخر ، إلى حسين في لندن ، وأيضا لم يصله أي رد !

واستدعيت مدير المستشفى ، وقلت له :

– أريد تقريرا عاجلا عن حالتي !

فقال الطبيب على الفور : حالتك طيبة جدا !

ثم عاد متداركا ، كما لو كان قد تسرع في إجابته ، وقال : ولكن ، يلزمك ثلاثة شهور ، على الأقل ، لتكمل علاجك !

قلت : أي علاج ، وأنا سليم ، كما تقول ؟

قال الطبيب : أقصد لتستريح أعصابك تماما !

وثرت في وجه الطبيب ، وأمرته بمغادرة غرفتي .

رشوة الطبيب

ذات يوم من يناير عام 1955 ، جاءني مرافقي وسكرتيري الخاص ، وكان مضطربا للغاية .

ورحت أهدئه ، ثم سألته عن سبب اضطرابه ، فجعل يردد :

غير معقول .... غير معقول !

قلت له : ماذا تريد أن تقول ؟

وبدأ سكرتيري يروي لي حقائق مؤلمة !

قال :

– بعد أن انتهت زيارة الملكة زين والملك حسين لك في المستشفى ، اجتمعا بمدير المستشفى ، الذي هنأهما لشفائك وطلب سرعة إعادتك إلى عمان ، لأن ذلك من شأنه رفع روحك المعنوية !

وثارت الملكة زين في وجه الطبيب ، وقالت له في صراحة وقحة :

– لتعلم أن طلال لن يغادر المصح ! سيظل به حتى يموت !

وبهت الطبيب ، ولم يفتح فمه بكلمة واحدة .

أما الملكة زين ، فقد بدأت تستميل الطبيب ، وتحدثه في رقة .

وقالت له : يجب أن تظل حقيقة حالة طلال سرا لا يذاع !

ثم استطردت : وقد أمرت بمنحك ثلاثة آلاف ليرة ، شهريا مدى الحياة ! وسوف أرسل لك سيارة بويك كهدية شخصية مني .

واستمر الطبيب في صمته .

وغادرت الملكة والملك المستشفى .

ورشوة الوالي

الشهور تمر بطيئة متثاقلة ، ثم تتحول إلى أعوام .

مر عامان بالتمام ، وأنا طريح غرفتي بالمستشفى ، لا أخالط أحدا ، ولا يسمح لي بالخروج مطلقا !

ماذا أفعل ؟

وسيلتي الوحيدة هي الكتابة !

وكتبت خطابا طويلا شديد اللهجة ، إلى حسين ، وخطابا آخر إلى والي إستانبول ، وطالبت في الخطابين بإخراجي فورا من المستشفى .

وجاء الرد على خطابي الأول ، من الملك حسين ! كان الرد عبارة عن أمر « من جلالته » إلى مدير المستشفى ، بمنعي من الكتابة !

ثم جاء الرد على الخطاب الثاني ، فقد زارني والي إستانبول فخر الدين كوجاي ، وأبلغني أنه لمس بنفسه ، أنني في حالة طبيعية للغاية ، ولذلك فإنه لا يرى مبررا لبقائي في المستشفى !

واقترح أن أقيم ضيفا على الحكومة في أي مكان أحدده ، إلى أن يحين موعد عودتي إلى عمان !

ووعدني الوالي ، بتنفيذ كلامه خلال أسبوع واحد .

وقبل أن ينتهي الأسبوع الذي حدده الوالي ، كان قد تلقى دعوة لزيارة الأردن من الملكة زين ! وسافر الوالي ، وبقي في الأردن شهرا كاملا ، أغدقت عليه الملكة زين خلاله من الأموال وغيرها ، ما جعله ينسى وعده لي ، ويرسل تعليمات جديدة إلى مدير المستشفى ، بمنعي من مخالطة أي إنسان !

الفصل السابع

ماذا أفعل ؟

كيف أتخلص من سجني ؟
كيف أغادر مستشفى الأمراض العقلية ؟
كيف أهرب من تركيا ؟
كيف أعود إلى بلادي ؟

كيف يصل صوتي إلى الناس ، كل الناس ، وأعلن حقيقتي وحقيقة الظروف التي مررت بها ، وحقيقة المؤامرة التي دبرتها زين ضدي ؟

لا أدري !

وعشت أياما طويلة ، في تفكير متصل ، فأنا لا أريد أن أستسلم ، لما تريده زين ! لا أريد أن أعيش حياتي ، سجينا ، مبعدا عن وطني وأهلي ، وعشيرتي !

وبدأت أستعرض مجموعة من الحلول التي يمكن أن تنقذني !

كان الحل الأول ، في نظري ، هو : الهروب من المستشفى !

ولكن ... .

كيف يمكن الهرب ، وأمام غرفتي يرابط عشرة من رجال البوليس السري التركي ! وفي حديقة المستشفى يرابط ضعف هذا العدد ! وأمام بابها الخارجي يرابط عدد مماثل !

وخطر لي أن أتخفى في زي أحد الممرضين ! وخطر لي أن

أحلق شاربي ، وأرتدي ملابس امرأة ! وخطر لي أن أرشو رجال البوليس السري التركي !

كل هذه الخواطر ، كانت تقفز إلى ذهني لحظات قليلة ، أرتفع معها إلى قمة الحماس ، وعندما أبدأ في التفكير الهادئ ، أستبعدها جميعا ! فمن من الممرضين ، يقبل أن يخاطر بمستقبله من أجلي ، وكيف أحصل على ثياب امرأة ؟ ومن أين لي بالمال اللازم ، لرشوة رجال البوليس التركي ؟

وبدأت أفكر في الحل الثاني .

كان الحل الثاني ، كما تصورته ، هو : الكتابة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ! إن الأمم المتحدة تضم ممثلي دول العالم ، ولابد أن يكون بينهم رجال شرفاء ، يطالبون بإيفاد لجنة للتحقيق في المؤامرة التي دبرت ضدي !

ولكن ، إن دول الغرب ، تسيطر على الأمم المتحدة ، سيطرة كاملة ! وربما منعت هذه الدول وصول كتابي إلى الجمعية العامة .

وفكرت في حل ثالث ، الكتابة إلى الجامعة العربية !

ولكن ، إن الجامعة العربية جهاز ضعيف ، لا يملك أن يفرض قرارا ، أو يطعن في رئيس إحدى الدول العربية ، بل إن الجامعة العربية ، لا يمكن أن تعرض كتابي ، في اجتماع عام تشهده جميع الدول الأعضاء !

واهتديت للحل الأخير ، الكتابة إلى حكومة الاتحاد السوفيتي !

لماذا فكرت في الاتحاد السوفيتي ؟

إن هذه الدولة ، تقف في معسكر مخالف للمعسكر الذي تحتمي وراءه زين ! ومن المؤكد ، أن الاتحاد السوفيتي ، لا يمانع مطلقا في فضح أي موقف لدول الغرب ، والدول الأخرى التي تسير في فلكها ، فإن ذلك من شأنه أن يعزز موقفه ، ويدعم مبادئه !

أضف إلى ذلك ، حقيقة هامة ، وهي : أن الاتحاد السوفيتي يجاور تركيا ، ومن المؤكد أن له في تركيا أصدقاء ، أو حتى « عملاء » يمكنهم مساعدتي في الهرب من المستشفى !

واقتنعت بالفكرة ، وبدأت أعمل لتنفيذها .

واصطدمت بالعقبة الأولى ، من يكون حلقة الاتصال بيني وبين حكومة الاتحاد السوفيتي ؟

لم يكن أمامي سوى سكرتيري ولكنه مراقب مثلي تماما ! ولا يستطيع مغادرة تركيا ، إلا بأمر من قيادة الجيش الأردني ، فما زال ضابطا فيه ! بالإضافة إلى أن أي تحرك له ، سوف تبلغه السلطات التركية على الفور إلى عمان ، الأمر الذي قد يكلفه مستقبله ، وربما حياته !

ما الحل إذن ؟

الحل هو الاتصال بصديقي « إبراهيم جاموس » !

لماذا فكرت في ذلك الصديق ؟

أولا : إنه صديقي الأول ، وهو بالنسبة لي أكثر من أخ ، فقد قدم لي مساعدات مالية لا تحصى ، عندما كان والدي الملك عبد الله يمنع المال عني !

ثانيا : إنه كتاجر ، يستطيع الذهاب إلى أي مكان ، دون أن ترتاب السلطات الأردنية في أمره !

ثالثا : إن علاقاته قوية ببعض رجالات الدول الشيوعية !

وكتبت إلى الصديق ، طالبا حضوره إلى إستانبول ، على وجه السرعة ، وطلبت إليه أن يكون اتصاله خلال إقامته في إستانبول بالمقدم صبحي طوقان فقط !

وبعد ثلاثة أيام بالضبط ، وصل إبراهيم جاموس إلى إستانبول .

ونفذ رغبتي ، فاتصل عند وصوله ، بسكرتيري ليسأله عن طريقة مقابلتي .

وجاء السكرتير ، يبلغني بوصول صديقي .

وبدأت أرسم خطة للخروج من المستشفى لمقابلته ، فقد كانت تعليمات الملكة الأخيرة تمنعني من مغادرة المستشفى ! وتمنع أي شخص من الاتصال بي ، إلا إذا كان يحمل تصريحا خاصا منها !

وأعلنت الإضراب عن الطعام ، وأرسلت سكرتيري إلى مدير المستشفى ، ليبلغه ، بذلك ، ويبلغه أيضا أنني قررت الاستمرار في الإضراب عن الطعام ، حتى يسمح لي بمغادرة المستشفى ، في نزهة – كل صباح – كما كان متبعا قبل وصول تعليمات زين !

وذعر مدير المستشفى وقال للسكرتير إنه لا يمانع في خروجي ، إذا وافق الوالي ! ثم نصحه بسرعة الاتصال بالوالي .

واتصل السكرتير بالوالي ، وشرح له الظروف التي أمر بها وأبلغه أيضا قراري بالإضراب عن الطعام .

ووافق الوالي على السماح لي بالخروج .

وهكذا تحقق الجزء الأول من الخطة .

وبدأت أفكر في تنفيذ الجزء الثاني من الخطة ، أي الاجتماع بالصديق « إبراهيم جاموس » لشرح المهمة التي سأطلب إليه القيام بها .

واهتديت إلى الحل .

طلبت إلى سكرتيري ، أن يحدد لصديقي موعدا في أحد الكازينوهات العامة ، ويبلغ الصديق ، بأن يكون شكل اللقاء كما لو كان صدفة ، بمعنى أن أجلس مع السكرتير على مائدة ، ويجلس إبراهيم جاموس على مائدة أخرى ، ثم يترك إبراهيم جاموس ، مائدته بعد فترة قصيرة وينضم إلى مائدتي !

ونفذ السكرتير التعليمات .

وحدد الموعد ، في كازينو « جنة بلك » في نهاية البسفور .

وذهبت إلى الموعد ، لأجد الكازينو قد أخلي من الناس ، وحل محلهم رجال البوليس السري التركي !

من دبر ذلك ؟

هل هو الوالي ؟

أم أن السكرتير ، أطلع حكومة عمان ، على ما أنوي القيام به ، فأبلغت السلطات التركية بذلك ، وطلبت إليها تعقبي ؟

وجلست مع سكرتيري ، على مائدة صغيرة ، في ركن منعزل .

وفي الجانب الآخر من الكازينو ، كان يجلس صديقي إبراهيم جاموس – وحده – وكان بادي القلق ، يقرأ أحيانا في صحيفة ، ثم يتركها ليقرأ في كتاب ، ثم يطفئ السيجارة لينادي الجرسون ، طالبا إحضار فنجان من القهوة ثم يمسك بفنجان القهوة ، فترتجف يده ، ويسقط فوق ملابسه ، ثم يصرخ مناديا الجرسون !

وانتهزت فرصة صياحه ، لأحييه بيدي .

وما كاد إبراهيم جاموس يلمح تحيتي حتى نسي صياحه ، ونسي ملابسه المتسخة ، وأسرع نحوي .

وما كاد إبراهيم جاموس يصافحني حتى فوجئت برجال

البوليس السري التركي ، المنتشرين في الكازينو من حولي ، فوجئت بهم يقفون ، ويتجهون نحوي !

ووقفت مستغربا .

وبدأت أسألهم : ماذا حدث ؟

ولم يرد أحد على سؤالي ، وجعلوا يحملقون في وجهي !

واضطربت !

وصرخت موجها الكلام لصديقي : أنقذني يا إبراهيم ، أنقذني يا إبراهيم .

وكأن هذه الاستغاثة كانت بمثابة « كلمة السر » لرجال البوليس التركي ، فقد أمسكوا بي ، ثم حملوني ، وقذفوا بي داخل سيارة ، انطلقت بسرعة ، نحو مستشفى الأمراض العقلية !

وفشلت الخطة .

وبدأت أستسلم لليأس من جديد !

الفصل الثامن

البحث عن الحقيقة

ويتحدث سكرتير الملك طلال عن الفترة التي أعقبت هذا الحادث ، فيقول :

– عاش الملك طلال أكثر من شهر في اضطراب شديد ، فقد كان يعلق آمالا كبيرة على صديقه إبراهيم جاموس ، وكان لا يتوقع إطلاقا ، أن تفشل الخطة التي رسمها ، للخروج من سجنه ، مستشفى الأمراض العقلية !

وقد امتنع الملك طلال ، عن تناول الطعام .

وساءت حالته الصحية .

وبدأت تصدر عنه تصرفات غريبة ، تؤكد أن قواه العقلية ليست سليمة !

لقد كانت كل ممرضة تدخل إليه ، لإعطائه الحقن المقررة ، هي : زين !

وكان يتصور أن كل طبيب هو الجنرال جلوب !

وكان يخلط بيني وبين الدكتور شوكت الساطي أحيانا ، وبين مدير مستشفى الأمراض العقلية أحيانا أخرى !

وذات يوم ، وجه لكمة قوية إلى مدير المستشفى .

وفي يوم آخر مزق ثوب إحدى الممرضات .

وفي يوم ثالث ، كتب على حائط غرفته : يسقط رئيس الجمهورية التركية .

وفي يوم رابع ، اختفى من غرفته ، وراحوا يبحثون عنه فوجدوه مختبئا تحت السرير !

وفي بطء شديد ، بدأ الملك طلال يعود إلى حالته الطبيعية ، إلى أن أصبح إنسانا طبيعيا للغاية !

ورحت أحاسبه على التصرفات التي بدرت منه .

سألته : لماذا كنت تهاجمني وتتصورني أحيانا الدكتور الساطي ، وأحيانا أخرى مدير المستشفى ؟

قال في براءة : لأني تصورتك السبب في فشل خطتي !

سألته : لماذا ضربت مدير المستشفى ؟

قال : لأنه يستحق ذلك !

سألته : لماذا مزقت ثوب الممرضة ؟

قال : لأنها كانت ترغب في إعطائي الحقنة ، دون تطهيرها !

سألته : لماذا كتبت يسقط رئيس الجمهورية التركية ؟

قال : لأنني تذكرت حادثا وقع لي مع عصمت إينونو رئيس الجمهورية عندما ذهبت لمقابلته ، خلال زيارتي الأولى لإستانبول .

لقد استقبلني عصمت إينونو وهو واقف وراء مكتبه ،

بالرغم من أنني كنت وليا لعهد الأردن ! وظل جالسا وراء مكتبه بعد ذلك ! ثم جاءت القهوة ، فقدمت إليه أولا ثم قدمت لي ، بالرغم من أني ضيفه ولي مكانتي في بلدي ! ولم أشرب القهوة وغادرت مكتبه على الفور دون أن أحييه !
وعلمت فيما بعد أن الأمير نايف – شقيقي من والدي – قال لإينونو : إنني مجنون ، لا أعقل ولا أتحكم في تصرفاتي ! وكان هذا هو السر الحقيقي وراء استقباله « الفاتر » لي !

وسألته : لماذا اختبأت تحت السرير ؟

قال : لأني سمعت أن مؤامرة تدبر لقتلي أثناء نومي ! فاختفيت تحت السرير طول الليل .

واحترت .. .

هل أصدقه ؟

أم لا ؟

وخرجت بنتيجة واحدة ، هي أنه كان يعقل التصرفات التي صدرت منه !

ولكن ... .

ما هي حقيقة طلال ؟

هل هو رجل عاقل ... فعلا ؟

هذا هو ما بدأت أبحث عنه ، منذ ذلك اليوم .

الفصل التاسع

مفاجأة

يقول الملك طلال في مذكراته :

– بعد الحادث الذي وقع لي في « جنة بلك » والذي تبخرت معه أحلامي في الخروج من مستشفى الأمراض العقلية ، مرت بي أيام طويلة لا أدري عددها ! عشت خلالها في قلق دائم ، فقد كان هناك إهمال متعمد لي من رجال المستشفى ! وكانت هناك مؤامرات كثيرة تدبر ضدي ، وصلت إلى حد التفكير في قتلي أثناء النوم !

وعدت إلى حالتي الطبيعية .

وذات صباح .

فوجئت بمدير المستشفى يطرق باب غرفتي ثم يفتح الباب في رفق ، ويحني رأسه بالتحية ، وهو يقول في أدب جم :

– هل يسمح لي صاحب الجلالة بالجلوس ؟

وساورتني الريبة ، وتصورت أن هناك مؤامرة جديدة على الأبواب ، فلم أجبه .

وعاد مدير المستشفى يقول :

– هل يسمح لي صاحب الجلالة بالجلوس ؟

قلت له : ماذا تريد ؟

قال : لدي خبر سار .

قلت في تهكم : هل قررتم السماح لي بمغادرة المستشفى ؟

قال : هل هذا هو الخبر السار الوحيد في نظر جلالتك ؟

قلت : طبعا !

قال ، وهو يضع يده في جيب سترته : لقد تلقيت رسالة اليوم باسم جلالتك .

ثم أخرج يده من جيبه وقدم لي الرسالة .

وفتحت الرسالة في لهفة ، فقد تصورتها رسالة « حسين » !

وكان التوقيع مفاجأة ، إنه توقيع صديقي إبراهيم جاموس الذي حال بيني وبين الحديث معه ، رجال البوليس السري التركي .

وبدأت أقرأ الرسالة .

قال **إبراهيم جاموس** .

« .... بعد أن غادرت إستانبول ، سافرت إلى أثينا ، ثم عدت إلى عمان ، وبمجرد وصولي إلى العاصمة طلبت موعدا عاجلا مع الملكة زين ، للتحدث معها ، حول الظروف التي تمر بها جلالتك ، وتطرق الحديث إلى الحادث الذي وقع في كازينو « جنة بلك » فأبدت الملكة زين استياءها الشديد من تصرف رجال البوليس التركي ، ووجدت أن الفرصة مناسبة لمفاتحة الملكة زين في موضوع الصلح بين جلالتك وبينها ، وبالتالي عودة جلالتك إلى بلادك ، وقد أبدت الملكة زين ارتياحا لحديثي ، ثم طلبت مهلة أسبوعين للتفكير ! وقد

سافرت بعد ذلك إلى بيروت لأعمال خاصة ، وهناك أوحيت لصديق لي يعمل في « جريدة الحياة اللبنانية » بنشر خبر عن الصلح بين جلالتك والملكة زين وقرب عودة جلالتك إلى بلادك ، سأعود بعد ثلاثة أيام إلى عمان ، وأتابع بحث الموضوع مع الملكة زين ، تحياتي واحترامي » .

وعجبت للخطاب !

وبدأت أبحث عن مغزاه .

صحيح أن إبراهيم جاموس صديقي ، ولكنه أيضا صديق الملكة زين ، وأكثر من مرة كانت تطلب منه مساعدات مالية ، عندما تضيق بها الأحوال المالية ، إذن ، فمن المحتمل أن يكون الخطاب محاولة جديدة متفقا عليها مع الملكة زين لتهدئتي ! ومن المحتمل أيضا أن يكون ما تضمنه الخطاب محاولة صادقة من جانب إبراهيم جاموس لا تحمل أي مغزى !

ومر أسبوع كامل ، دون أن أتلقى أي تفصيلات جديدة عن المساعي التي قال إبراهيم جاموس إنه يقوم بها .

وفي صباح أحد الأيام جاءني سكرتيري وهو متقطع الأنفاس ، وقدم لي ورقة صغيرة وقال : هذه الرسالة من إبراهيم جاموس ! لقد اختطفتها من أيدي رجال البوليس السري الذين يحيطون بغرفتك ! وقرأت الرسالة .

إن إبراهيم جاموس يقول فيها :

« ثارت الملكة زين للخبر الصغير الذي نشر في جريدة

الحياة اللبنانية ، وأصدر القصر الملكي في عمان بيانا جاء فيه ، أن حالة الملك طلال الصحية سيئة للغاية ، وأنه سيظل - تحت العلاج والفحص في إستانبول - مدة تتراوح بين ستة أشهر وعشرة أشهر ! وقد قالت لي الملكة زين في أول مقابلة معها بعد عودتي من بيروت ، إنها لا تفكر في إعادة جلالتك إلى عمان .

هل أستطيع تقديم ضمانات لها باسم جلالتك ، أم لا ؟ أرجو الإفادة » !

وطلبت إلى سكرتيري الرد على إبراهيم جاموس وإبلاغه شكري لجهوده وعدم رغبتي في إتمام مساعيه مع الملكة زين .

ومرت عدة أيام .

وذات يوم فوجئت بأحد رجال البوليس التركي يدخل إلى غرفتي ليبلغني أن إبراهيم جاموس يرغب في مقابلتي .

وقال : إنه يحمل تصريحا من الملكة زين بذلك !

وأذنت له بالدخول .

جاء إبراهيم جاموس متهللا ، والابتسامة تعلو شفتيه ، وقال :

- مبروك ، ستعود جلالتك إلى عمان في نهاية الشهر المقبل وبدأ يروي لي قصة غريبة .. .

قال : اتصلت بي الملك زين - بنفسها - تليفونيا ، واستدعتني إلى القصر ! وقبل أن تصافحني سألتني : هل

مازالت اتصالاتك بطلال مستمرة ؟ فقرأت لها آخر رسالة بعثت بها جلالتك عن طريق السكرتير ! وتأثرت الملكة زين ، وبكت ، بكت بكاء شديدا ثم قالت : معنى ذلك أن طلال لا يريدني ، لا يريد العودة إلي ! وطلبت إلي في توسل ، السفر إلى إستانبول لإجراء مباحثات مع جلالتك ، حول نفس الموضوع ، موضوع الصلح !

قلت لإبراهيم جاموس : إن تجاربي مع الملكة زين تحتم علي ألا أصدق نواياها نحوي !

قال : أعتقد أنها صادقة في هذه المرة !

قلت : صدقني ، إن الملكة زين تنفذ خطة جديدة ، وقد استعانت بك هذه المرة بدلا من أن تستعين بالدكتور شوكت الساطي ، أو بشقيقها ناصر !

قال : لا أعتقد !

قلت : إذن هناك تجربة صغيرة يمكن أن تظهر حقيقة نوايا زين ! أرجو إبلاغها رغبتي في تحويل مبلغ عشرة آلاف جنيه إلي في إستانبول على وجه السرعة !

قال : أنا واثق أن هذا الطلب سيجاب فورا .

ثم قال : هل هناك طلبات أخرى ؟

وضحكت وقلت له : شكرا .

وانتهت مقابلتي لإبراهيم جاموس .

وعاد إلى عمان .

وانتظرت وصول المبلغ ، شهر وشهرين وثلاثة ، ومازلت أنتظر حتى الآن !

والشيء الذي لم أستطع الوصول إليه عن طريق التفكير أو المعلومات حتى الآن هو تفاصيل وأهداف المؤامرة التي حاولت زين استخدام إبراهيم جاموس ، كمخلب قط فيها ؟

المخصصـــات

الأيام تمر .

وأنفاسي تضيق !

إنني أسوأ حالا من السجين ! فالسجين يعرف : لماذا سجن ؟ ويعرف مقدار الفترة التي سيمضيها في السجن ؟

والسجين يعمل في أوقات محددة ، ولفترات محددة ، ويأكل في أوقات محددة ، ويستقبل أهله وزواره بين الحين والآخر ، ولو من وراء القضبان !

فهل « أنعم » أنا بهذا ، أو حتى بشيء من هذا ؟

طبعا : لا !

إنني ملك ، وابن ملك ، ووالد ملك ، ومع ذلك لا أملك مليما واحدا في جيبي !

إنني أعلم أن لي مخصصات سنوية ، تصل إلى مائة وخمسين ألفا من الجنيهات ، ومع ذلك لا يصلني جنيه واحد .

- إن الملك سعود يخصص لي 65 ألفا من الجنيهات سنويا .
- والحكومة الأردنية تخصص لي 18 ألف جنيه سنويا .
- والحكومة البريطانية تخصص جزءا من معونتها لنفقات علاجي .
- وهناك شخصيات عربية كبيرة تخصص لي أيضا مبالغ كبيرة ، للمساهمة في نفقات العلاج .

وتحصل زين على كل هذه المخصصات ، وتضعها في حساباتها بالبنوك البريطانية والسويسرية وتعلن للناس أن علاجي استنزفها ، واستنزف مخصصاتها هي أيضا !

وتجد زين من يصدقها ، ويمنحها المزيد من المساعدات ، والهبات .

أما أنا فلا أجد من يصدق أنني أعيش في سجن ! وأعامل كما يعامل الخدم ، بل الكلاب ! وأتناول طعامي في أطباق من « الصاج » أكلها الصدأ ! وأرتدي ملابس ممزقة ، إلى أن تتعطف الملكة زين ، كل عام ، وترسل لي ملابس جديدة !

يا رب .

ممنوع العلاج

ذات مساء .

أصبت « بمغص كلوي » حاد !

وكاد الألم يمزقني .

ورحت أصرخ ، وأصرخ ، ولا مجيب وبعد ساعة ، أو أكثر ، سمعني سكرتيري الذي يقيم في غرفة مجاورة لغرفتي ، فجاءني مذعورا ، وأفهمته حالتي فجعل يهرول في أنحاء المستشفى ، باحثا عن طبيب ، أي طبيب ، ولم يجد !

وأيقظ السكرتير ، إحدى الممرضات ، وطلب إليها حقني بأي مسكن ، ونفذت الممرضة هذا الطلب ، فاسترحت قليلا .

غير أن الألم عاودني من جديد ، وحقنت مرة أخرى ، بنفس المسكن !

وظللت على هذا الحال ، أحقن بمسكن كل ساعة ، تقريبا .

وجاء الصباح .

وذهب السكرتير إلى مدير المستشفى يشرح له ما حدث

لي والألم الشديد الذي أعانيه ، فصرخ مدير المستشفى في وجهه وقال له :

– من أمرك بإعطائه مسكنا ، كيف تعتدي على اختصاصات غيرك ؟

وأصدر مدير المستشفى ، أمرا بمنع السكرتير من دخول غرفتي .

وثار السكرتير وترك المستشفى ، وأبرق إلى عمان يشرح حالتي ، وأرسل تقريرا إلى السفارة الأردنية بأنقرة ، تضمن تفاصيل معاملتي في المستشفى ، وأرسل تقريرا آخر إلى والي إستانبول حول تصرفات مدير المستشفى معه .

ومع ذلك .

لم تصلني أي نجدة ، ولم يصلني أي استفسار ، ولم يزرني أي طبيب ، ولم أحقن بأي مسكن ، وكانوا يقذفون إلي بالأكل كما يقذف للكلاب تماما ، ثم ينسحبون من غرفتي بسرعة ، ويغلقونها علي بالمفتاح طبعا !

ولم يفلح صراخي ، ولم يفلح بكائي ، في تحريك القلوب المتحجرة !

وظللت أكثر من أسبوعين ، أعاني من « المغص الكلوي » ، إلى أن رحمني الله وشفيت منه .

الفصل العاشر

محاولات البطريرك

اهتدى صبحي طوقان إلى فكرة جديدة لأنقاذي .

ذهب إلى البابا « أثينا غورس » بطريرك الأقباط في تركيا ، وشرح له قصتي من البداية .

وذهب إلى مفتي المسلمين ، وشرح له القصة نفسها .

وتحمس بطريرك الأقباط ، وقرر زيارتي لمعرفة كل التفاصيل مني شخصيا .

أما المفتي ، مفتي المسلمين ، فقد دعا لي بالهداية والشفاء !

وجاءني البطريرك ، وأمضى معي خمس ساعات كاملة .

ووعدني البطريرك ، بالاتصال « بأبنائه » وأصدقائه الروحيين المنتشرين في جميع أنحاء العالم ، للتحدث عن قضيتي وإسماع قصتي إلى أكبر عدد ممكن من الجهات المسئولة .

وحقق البطريرك ، ما وعدني به .

ولكن ، لسوء حظي ، لم نتوصل إلى أي نتيجة .

وقرر البطريرك السفر إلى عمان ، لمقابلة زين ، وحسين .

وأرسل إليهما يطلب السماح بمنحه تأشيرة دخول ، كما أرسل خطابا طويلا ، عن المهمة التي سيقوم بها في عمان .

ولم تصل الموافقة على منحه تأشيرة الدخول .

ولم يصل إلى رد على خطابه الطويل !

وفشلت هذه المحاولة الجديدة .

مفاجأة جديدة

كنت أجلس في حديقة المستشفى ، عندما جاءني قنصل العراق في إستانبول يحمل مجموعة من قصاصات الصحف ، ودفع بها إلي بسرعة ، ثم قال :

– لقد تمكنت من رشوة رجال البوليس التركي ، حتى يسمحوا لي برؤيتك لمدة دقيقة واحدة ، وقد قاربت الدقيقة على الانتهاء ، سأحاول الاتصال بجلالتك مرة أخرى .

وقرأت إحدى قصاصات الصحف التي حملها لي القنصل العراقي ، ولم أصدق نفسي ، إنها تحمل هجوما شديدا على حسين وزين ، وتتهمهما صراحة بالتآمر علي بهدف إبعادي عن الأردن وبالتالي عن العرش !

وقرأت قصاصة أخرى ، فوجدتها تحمل هجوما أشد قسوة !

وقرأت قصاصة ثالثة ، فعرفت السر وراء كل هذا الهجوم .

ما هو السر ؟

جاء إلى إستانبول صحفي بلجيكي ، وقال إنه كان يعمل

مستشارا سياسيا للملك حسين ، ثم اختلف معه ، حول موقفه مني وإصراره على عدم إعادتي إلى عمان.!

وعقد الصحفي البلجيكي مؤتمرا صحفيا ، شهده أكثر من مائتي صحفي ، تحدث فيه عن المؤامرة التي دبرت ضدي بالتفصيل ، وفضح أسرار القصر الملكي في عمان .

وتحمس الصحفيون للمعلومات التي أدلى بها الصحفي البلجيكي ، فنشروها بالكامل في صحفهم ، مع تعليقات عليها .

وظلت هذه المعلومات ، مادة لتعليقات الصحف ، عدة أيام .

ثم أصبحت حديث المجتمعات في جميع أنحاء تركيا ، بل وفي خارج تركيا أيضا .

من هو هذا الصحفي البلجيكي ؟

وما هي حقيقته ؟

ومن دفعه إلى الإدلاء بهذه التصريحات ؟

ولماذا جاء إلى إستامبول ؟

ولماذا عقد مؤتمرا صحفيا ، بهدف الدفاع عني ، وتوضيح حقيقة المؤامرات التي دبرت ضدي ؟

ولماذا هاجم ، زين ، وحسين ، كل هذا الهجوم ؟

ثم ... .

هل كان هذا الصحفي يعمل بالفعل مستشارا سياسيا لحسين !

إنني أعلم أن حسين وزين لهما مستشاران أحدهما بريطاني والآخر أمريكي ، ولكن لم أسمع مطلقا بأن لأحدهما مستشارا بلجيكيا .

ومضت بضعة أيام ، قبل أن أعرف الحقيقة ، وراء هذا المؤتمر الصحفي ، ثم فوجئت ذات يوم بخطاب طويل ، بتوقيع « أنصار طلال » ، يروي قصصا كثيرة ، من بينها قصة هذا المؤتمر الصحفي .

قال الخطاب :

« ..... وقد تمكنا من جمع خمسة آلاف دينار ، واتفقنا مع الصحفي البلجيكي على القيام بالدور الذي أداه في إستانبول مقابل ألف جنيه ، أما باقي المبلغ ، فسوف نوجهه إلى أساليب أخرى ، من الدعاية » .

وسعدت ... سعدت جدا ، بهذا الخطاب ! لقد كان في نظري مساويا لخروجي من المستشفى !

أنصار طلال

وبدأت أنباء نشاط « أنصار طلال » تصلني بانتظام .

لم يكن نشاطهم مقتصرا على الداخل ، بل امتد إلى الخارج أيضا !

ماذا حدث ؟

أرسلوا قصتي إلى جميع صحف العالم .

أرسلوا برقيات من بيروت إلى جميع المنظمات السياسية يطالبونها بالتدخل لإنقاذي .

بعثوا بوفود خاصة ، إلى العواصم العربية ، لمقابلة المسئولين فيها ، ومناشدتهم مساعدتي .

وذات يوم .

تلقيت خطابا قصيرا ، بتوقيع « أنصار طلال » جاء فيه .

« ...... ألقى البوليس القبض ، على أهم الممولين الذين يقدمون لنا المساعدات ، وسنضطر إلى وقف نشاطنا ، بعض الوقت » !

وبدأت استسلم لليأس والقلق والحيرة ، من جديد .

ومضى شهر تقريبا دون أن تصلني أية رسالة من « أنصار طلال » .

وكلفت سكرتيري بالبحث عن حقيقة « أنصار طلال » ومحاولة معرفة أسمائهم !

وبدأ السكرتير يجمع الخيوط التي يمكن أن تقوده إلى الحقيقة

من الأردنيين والعراقيين الذين يقيمون في إستانبول أو يترددون عليها .

وذات مساء .

سمعت طرقا خفيفا على باب حجرتي ، لم أعره اهتماما في بادئ الأمر ، فقد ظننت أن موعد « الحقنة » قد حان !

غير أن الطرق ظل مستمرا ، بل إنه بدأ يشتد !

وفتحت الباب فإذا بي أمام ثلاثة من الشباب الأردني !

وأذهلتني المفاجأة ، فوقفت أحملق في وجوههم ، دون أن أتكلم .

أما الشباب ، فقد راحوا يعانقونني ، والدموع تملأ عيونهم .

ومضت فترة ليست قصيرة ، ربما تزيد عن ساعة ونحن نتحدث بالدموع ! لقد بكيت كثيرا ، من شدة تأثري برؤية أبناء بلدي ، وأجاب الشباب على دموعي ، بدموع أخرى ، أشد غزارة .

وبدأ الشباب يفصحون عن شخصياتهم أنهم مبعوثو « أنصار طلال » !

وكدت لا أصدق ، في بادئ الأمر ، وتصورتها خدعة جديدة ، لجأت إليها زين ، حتى تعرف حقيقة صلتي بـ

« أنصار طلال » .

وأحس الشباب بريبتي في أمرهم ، فأخرجوا القرآن الكريم وأقسموا عليه ، ثم فتح أحدهم حقيبة كان يحملها في يده وأخرج ملفا كاملا ، يتضمن صورا من جميع الخطابات التي بعثوا بها إلي ، وكشفا بأسماء « أنصار طلال » !

وسألتهم :

– كيف أمكنكم دخول الغرفة ؟

ورد أحدهم : لقد رشونا الضباط الأتراك ، بعشرة آلاف ليرة تركية ، مقابل السماح لنا بتمضية ساعتين مع جلالتك !

ثم نظر إلى ساعته ، وقال :

– مضت ساعة تقريبا ، ولم يبق أمامنا سوى ساعة واحدة .

وبدءوا يشرحون خطتهم .

وقال أحدهم ، وكان يمسك بحقيبة للأوراق :

– لقد قررنا إعادة جلالتك إلى عمان !

وعقدت المفاجأة لساني ، فلم أتكلم !

ومضى الشاب ، يكمل كلامه :

- ... لقد طلب منا قائد الحرس مبلغ خمسين ألف ليرة تركية ، مقابل مساعدتك على الهرب ! وقد قررنا جمع هذا المبلغ خلال أسبوع واحد ، وفي خلال هذه الفترة ، سنعد جواز سفر لبناني لجلالتك ، وسوف ندفع عشرة آلاف ليرة لبنانية ، ثمنا لهذا الجواز !

ثم قال :

- وسيتم تنفيذ الخطة ، بعد أسبوع واحد ، أي يوم الجمعة القادم !

وفتح الشاب حقيبة الأوراق التي يمسك بها في يده ، وأخرج عدة « رزم » من الليرات التركية ، وقال : وهو يقدمها لي :

- هذا مبلغ بسيط ، قد تحتاج إليه جلالتك ، لمساعدتنا في إتمام الخطة !

. ...

كنت أستمع إلى هذا الكلام ، وكأني أعيش في حلم لذيذ .

وكنت لا أنظر إلى محدثي ، كنت أنظر إلى السماء علها تساعدني في أن يتحول الحلم إلى حقيقة !

وتنبهت إلى يد الشاب الممتدة « برزم » الليرات التركية ، ثم قبلتها منه بلا تردد .

وتنفس الشاب الصعداء ، فقد كان - فيما يبدو - يتوقع

أن أرفض قبول الليرات التركية ، وكان من الممكن أن يتم ذلك ! غير أن حاجتي الشديدة إلى المال ، دفعتني لقبول الليرات على الفور !

ووقف الشباب ، إعلانا لانتهاء زيارتهم .

وقبل أن يمدوا أيديهم بالسلام ، قال أحدهم ... نفس الشاب الذي يحمل الحقيبة :

- سيصل جلالتك ، تقرير يومي ، عن نشاطنا !

وخرج الشباب .

وبعد دقائق دخل إلى غرفتي قائد الحرس وقال في أدب جم :

- هل يأمر صاحب الجلالة بأي خدمة ؟

ثم انحنى ، حتى كادت رأسه تلامس قدميه !

وضحكت ... ضحكت من أعماقي ، فهذا هو تأثير المال على الأتراك !

وانصرف قائد الحرس .

وخلوت إلى نفسي دقائق .

ثم نمت ، نمت نوما عميقا ، هادئا لم أعرفه منذ سنوات !

التقرير الأول

في مساء اليوم التالي مباشرة .

جاءني سكرتيري الخاص وهو يحمل في يده مظروفا صغيرا ، ثم قال : لقد أحضر هذا المظروف شاب أردني كان يرغب في مقابلتك فلما أفهمه الحراس بأن ذلك أمر صعب للغاية ، طلب مقابلتي وسلمني المظروف .

وفتحت المظروف بسرعة .

وقرأت تقريرا كتب على الآلة الكاتبة إلى « صاحب الجلالة ملك الأردن الشرعي » ، وكان التقرير بتوقيع « أنصار طلال » !

ماذا يقول التقرير ؟

إنه يشرح الخطوات التي بدأ تنفيذها ، منذ عاد وفد « أنصار طلال » إلى عمان ، بعد مقابلتي في إستانبول .

ما هي هذه الخطوات ؟

● لقد قرروا طبع مائة ألف منشور ، عن فترة الحكم الوطني ، أي الفترة التي أمضيتها في الحكم .

● وقرروا طبع ربع مليون صورة لي في مطابع عمان ودمشق وبيروت .

● وبدءوا يعلنون بين الناس ، عن قرب عودتي .

● وأعدوا مئات السيارات ، لنقل الناس الذين سيستقبلونني في المطار .

● وأعدوا لافتات الترحيب .

ثم ..... .

● أعادوا تنظيم صفوفهم ، باعتبارهم القيادة التي ستتولى توجيه الشعب ، ووزعوا الاختصاصات والمسئوليات فيما بينهم .

مفاجأة

وجاء اليوم الثالث .

وبقيت طوال اليوم في انتظار التقرير .

وجاء الليل .

ومرت ساعاته ، ببطيئة متثاقلة ، ولم يصل التقرير !

وقبل أن ينتصف الليل ، جاءني سكرتيري مذعورا وهو يقول : لقد وصل ناصر شقيق الملكة زين إلى إستانبول ! وثرت في وجهه وأنا أسأله : لماذا وصل ؟ وكيف وصل ؟ كيف عرفت بوصوله ؟ هل سيحضر لزيارتي ؟

لقد خيل إلي على الفور أن صبحي طوقان أبرق بتفاصيل ما حدث بيني وبين الشباب الأردني ، إلى عمان .

ولم أطق رؤيته ، وأمرته بمغادرة غرفتي فورا !

وتوترت أعصابي .

وثارت دموعي ، فخرجت في انهمار متواصل .

وجلست في انتظار وصول السفاح ناصر ! الرجل الذي يتخذ من القتل والإرهاب ، والاستيلاء على أموال الناس وممتلكاتهم مادة للتسلية !

وتنبهت إلى وجود الليرات التركية في غرفتي ، والتقرير الذي يحمل توقيع « أنصار طلال » فأخفيت الليرات في دورة المياه الملحقة بغرفتي ، ومزقت التقرير ، ثم أحرقت بقاياه .

وفي منتصف الساعة الرابعة صباحا سمعت طرقا متواصلا على الباب .

ولم أجب !

واستمر الطرق عدة ثوان ، ثم فتح الباب بقوة !

وكان مفاجأة جديدة ! لم يكن الطارق مدير المستشفى أو ناصر أو أحد رجال البوليس التركي أو السكرتير ! لقد كان شابا هزيلا يضع فوق عينيه نظارات طبية ، قال في صوت خافت :

– هذا هو التقرير اليومي .

ومد يده بمظروف صغيرة ، يشبه تماما المظروف الذي حمله إلي بالأمس السكرتير !

وقبل أن أوجه إلى الشاب أي سؤال أو أطلب إليه أية تفسيرات كان قد اختفى من أمامي !

كيف أقرأ التقرير ؟

إنني أتوقع وصول ناصر ، بين الحين والآخر ، وليس من صالحي ، أن يلمح هذا التقرير ، أو يعرف أي شيء عن صلتي بجماعة « أنصار طلال » .

وقررت قراءة التقرير في دورة المياه !

وقبل أن أفتح المظروف ، فوجئت بسكرتيري يقف أمامي ، وقد تهللت أساريره !

قلت له : ماذا حدث ؟

قال : لقد سافر ناصر !

قلت : أنت كذاب !

قال : بشرفي ! !

قلت : لماذا جاء إلى إستانبول إذن ؟

قال : لقد كان في طريقه إلى لندن ، ولم يمض في إستانبول سوى ثماني ساعات .

وكانت الساعة قد قاربت الخامسة صباحا ، فنظر إلي السكرتير وهو يقول : لم أنم دقيقة واحدة حتى الآن فقد تعقبت ناصر دون أن يشعر بي ، حتى أقلعت به الطائرة !

والآن ، هل تسمح لي جلالتك بالإنصراف .

التقرير الثاني

تحت أضواء باهتة ، في جانب من غرفتي ، جلست أقرأ التقرير الثاني .

لقد أذهلني أن « أنصار طلال » من اليقظة الشديدة بحيث

أمكنهم معرفة موعد وصول ناصر إلى إستانبول وموعد سفره منها إلى لندن .

وكان التقرير يتضمن معلومات جديدة ، لقد تحمس عدد من الشباب ، فخرجوا في الشوارع يهتفون لي ، وعبر عدد آخر عن تحمسهم بأسلوب آخر ، ملأوا الشوارع بصورتي ، وبعبارات الترحيب والتحية لي ، كتبوا في كل مكان « مرحبا بك يا طلال » حتى أمام القصر الملكي ، تمكنوا من كتابة هذه العبارة ، وعبارات أخرى مشابهة !

وكان هؤلاء الشباب يوقعون صراحة بإمضاء « أنصار طلال » .

ويبدو أن الملكة زين لم تتمكن من السيطرة على تصرفاتها ، عندما قرأت هذه العبارات ، فقد استدعت مدير الشرطة « وبصقت » في وجهه . وقالت له بأعلى صوتها ، وعلى مسمع من عدد كبير من رجال القصر : أنت جبان ... متآمر !

وأصدرت قرارا بفصله !

وانحنى مدير الشرطة يقبل قدميها . ووعدها بأنه سيقبض على كل « كلب » اشترك في كتابة هذه العبارات !

وصفحت زين عن مدير الشرطة !

وعدلت عن قرار فصله !

التقرير الثالث

في نفس موعد اليوم السابق .

جاءني نفس الشاب الهزيل ، وطرق الباب مرتين ، وفتحت له ، فمد يده ، بالمظروف الصغير ، واختفى من أمامي في ثوان ... كما حدث بالأمس !

وفتحت المظروف بسرعة ، فوجدت ورقة صغيرة كتب عليها سطر واحد « الملكة زين في طريقها إلى إستانبول » .

وضحكت ... ضحكت من أعماقي فقد حالفني الحظ السيء من جديد !

وبعد ساعة واحدة ، من وصول التقرير جاءني السكرتير وفي يده برقية من القصر الملكي في عمان ، جاء فيها « تصل الملكة زين اليوم للاطمئنان على صحة جلالة الملك طلال » .

وسألني السكرتير : هل أذهب إلى المطار لاستقبال الملكة ؟

قلت : لا أريد أن أرى زين ! ولا أريد أن أستمع إلى أي حديث عنها ! ولا أريد أن أرى وجهك ، إذا ذهبت إلى المطار !

وقرر السكرتير ، عدم الذهاب إلى المطار .

الفصل الحادي عشر

تفتيش الملكة

وصلت الملكة زين إلى إستانبول .

ولم تجد في استقبالها سوى سفير الأردن !

وذهبت إلى فندق هيلتون حيث اعتادت أن تقيم !

وبعد ساعة من وصولها اقتحم غرفتها عدد من ضباط البوليس وأبرزوا أمرا بتفتيش الغرفة !

وصرخت الملكة .

وأسرعت تتصل بسفير الأردن تليفونيا .

وجاءها السفير على الفور ، وسأل رجال البوليس عن سبب تفتيش غرفة الملكة فقدموا له الأمر !

وصرخت الملكة ، في وجه السفير : افعل شيئا ، اتصل بجلال بايار ، رئيس الجمهورية !

ورد السفير : آسف !

ثم غادر غرفتها على الفور .

وجاءني السفير إلى المستشفى يروي لي أسباب تفيش الملكة .... جاء يروي القصة المخجلة من بدايتها !

قال :

ذات مساء ، تلقيت برقية عاجلة من القصر الملكي بعمان .

جاء فيها : الملكة زين في طريقها إلى إستانبول ، لتمضية ثلاثة أيام !

وأسرعت إلى المطار .

وبعد دقائق وصلت طائرة الملكة .

كانت الملكة مضطربة ، قلقة ، وإن كانت تبذل مجهودا كبيرا لإخفاء ذلك .

ومددت يدي لمصافحة الملكة ، فلم تعرني اهتماما ، وقالت في عصبية ظاهرة :

– فين المسئولين ، فين حرس الشرف ، فين الموسيقى ؟

قلت :

– لقد عرفت نبأ وصول جلالتك منذ نصف ساعة فقط ، فأسرعت إلى المطار ، ولم أتمكن بالطبع ، من إبلاغ المسئولين .

وصاحت الملكة في وجهي بنفس العصبية :

– أنت فاشل !

ولم أرد .

وبعدت عن طريقها .

وأسرعت الملكة نحوي ، وهي تردد في هستيرية :

– الشنط ... الشنط .... فين الشنط ؟

قلت وقد تمالكت أعصابي :

– لقد أرسلت السكرتير ، لتخليصها وستجدينها جلالتك في انتظارك بالفندق .

وصاحت الملكة :

– اذهب أنت فورا لتخليص الشنط !

ولم أجد مفرا من إطاعة الأمر الملكي ، وذهبت إلى الجمرك لتخليص الحقائب .

وفي الجمرك ، فوجئت بأمر بعدم الإفراج عن حقائب الملكة !

وسألت عن السبب فقيل لي : إن الحقائب مملوءة بالمجوهرات والممنوعات المهربة !

وأشار رجال الجمرك إلى « صف » طويل من الحقائب ، وقال لي أحدهم : هل يعقل أن تشغل ملابس الملكة كل هذه الحقائب ؟

وسألته :

– ما عدد حقائب الملكة ؟

ورد رجال الجمرك :

– 31 حقيبة !

وحاولت إقناع رجال الجمرك بعدم تفتيش الحقائب ، وحاولت أن أوضح لهم أن تفتيش الحقائب سيؤدي إلى أزمة دبلوماسية قد ينتج عنها قطع العلاقات الدبلوماسية بين تركيا والأردن وحاولت أن أشرح لهم طبيعة العلاقات التي تربط حكومتي

أنقرة وعمان ، ولكن بدون جدوى ! فقد صمم رجال الجمرك على تفتيش حقائب الملكة !

وطلب رجال الجمرك مني إحضار مفاتيح الحقائب !

وذهبت إلى الملكة أطلب المفاتيح فثارت في وجهي وقالت عدة عبارات مهينة باللغة التركية .

وقررت الملكة الاتصال تليفونيا برئيس الوزارة عدنان مندريس .

وتم الاتصال التليفوني بالفعل ، وأمر عدنان مندريس بالإفراج عن حقائب الملكة فورا .

البوليس والملكة

ومضى السفير يقول :

وذهبت الملكة إلى فندق هيلتون ، حيث اعتادت أن تقيم .

وقبل أن تصعد إلى غرفتها ، أشرفت على نقل الحقائب .

وبعد دقائق ، أرسلت الملكة وصيفتها إلى بائع المجوهرات الإسرائيلي « روزنشتين » الذي يقيم في نفس الفندق .

لماذا ؟

لماذا أرسلت الملكة تستدعي بائع المجوهرات ؟

إن الملكة شريكة لبائع المجوهرات ! وهي تحضر له باستمرار المجوهرات من سائر أنحاء العالم ، بدون جمارك ليقوم بدوره بتوزيعها على عملائه في منطقة الشرق الأوسط ، وما تحمله الملكة في حقائبها كان حصيلة عدة رحلات قامت بها الملكة !

وبعد دقائق عادت وصيفة الملكة ، وبرفقتها أحد مساعدي « روزنشتين » ، الذي قال للملكة : إن البوليس يراقب

« روزنشتين » منذ عدة أيام ، فقد علم بأنه في انتظار مجوهرات مهربة ! وطلب إليها إرجاء تسليم « البضاعة » !

ورفضت الملكة ، وصممت على أن يتم التسليم فورا !

ورفض مساعد الجواهرجي استلام المجوهرات !

وخلال المناقشة التي دارت بين الملكة وبين مساعد الجواهرجي ، اقتحم رجال البوليس جناح الملكة ، للقبض على مساعد « روزنشتين » .

وأبرز رجال البوليس أمرا للملكة بالقبض على « روزنشتين » وجميع مساعديه وأعضاء العصابة التي تبيع له المجوهرات المهربة .

وقال رجال البوليس في أدب جم : ولدينا من المعلومات ما يؤكد أن المجوهرات بين حقائب جلالتك .

وصاحت الملكة في وجه رجال البوليس : أنتم كاذبون ، أنتم كاذبون !

ثم أمرتهم بمغادرة جناحها على الفور .

ورفض رجال البوليس تنفيذ أمر الملكة ، وطالبوا بتسليم مساعد الجواهرجي والحقائب .

وصاحت الملكة : هذا الرجل في حمايتي ، أما الحقائب فلن تستطيع قوى الأرض نزعها مني !

ثم اتصلت بي تليفونيا .

وكنت أقيم في غرفة مجاورة لغرفتها فأسرعت إليها .

وفي جناح الملكة فوجئت برجال البوليس ومساعد الجواهرجي فسألت رجال البوليس عن سبب وجودهم ، فأبرز لي أحدهم أمرا بالقبض على الجواهرجي وكل من يضبط متلبسا بتسليمه مجوهرات مهربة .

كنت أقرأ الأمر وأنا أبتسم .

وصرخت الملكة في وجهي :

– افعل شيئا ، اتصل بجلال بايار رئيس الجمهورية !

قلت لها : آسف !

ثم غادرت غرفتها على الفور .

وأسرعت الملكة تتصل بعدنان مندريس رئيس الوزراء مرة ثانية تطلب إليه التدخل لإخراج رجال البوليس من جناحها .

وللمرة الثانية ، أنقذ عدنان مندريس الملكة !

وبعد ست ساعات بالضبط قررت الملكة العودة إلى الأردن .

وذهبت الملكة إلى المطار ، وأمامها الحقائب التي تضم المجوهرات ، لقد عادت كما جاءت تماما !

التقرير الرابع

كان سفير الأردن ، يروي لي هذه القصة المؤلمة ، وهو في قمة الانفعال .

وسكت قليلا ، ثم قال : لقد قررت الاستقالة من منصبي وقررت أن أمضي بقية عمري في سويسرا !

واستأذن في الانصراف .

وبعد دقائق جاءني نفس الشاب الهزيل ، الذي يضع فوق عينيه نظارات طبية ، وقدم إلي المظروف الذي يضم التقرير الرابع .

ودمعت عينا الشاب ، وهو يودعني ، ثم قال : في أمان الله !

وأقلقتني دموع الشاب ، ففتحت المظروف بسرعة ، وقد أيقنت أنه يضم أنباء سيئة !

وصح ما توقعته ، فقد كان التقرير الرابع ، عبارة عن اعتذار رقيق من « أنصار طلال » بعدم إمكانهم الاستمرار في خطتهم بعد أن قبض على جميع قادتهم !

وهكذا ، شاء القدر من جديد ، أن يكتب هذه النهاية المؤلمة لنشاط « أنصار طلال » ، وشاء القدر أن تفشل محاولة جديدة لإنقاذي !

الفصل الثاني عشر

الأيام السوداء

مرت أيام سوداء ، كنت أنظر حولي فلا أجد إلا سوادا ، كانت الشمس في عيني سوداء ! وكانت الغرفة في عيني سوداء ! وكان الطبيب والممرضات في عيني أشباحا سوداء ! حتى الطعام كنت أراه كقطع الفحم السوداء !

ولا أدري ما عدد تلك الأيام ، فقد تصورتها سنين طويلة !

ونسيت زين ، فقد تعمدت أن أنساها .

ونسيت حسين ، فهو لا يستحق أن أتذكره .

ونسيت التفكير في الخلاص ! فقد اقتنعت بالمصير الذي شاء القدر أن يكتبه لي .

وقررت إعادة تنظيم حياتي ، على أساس الأمر الواقع !

صادقت مدير المستشفى رغم إيماني بأنه عدوي الأول ! وكنت أدعوه في كثير من الأحيان للعب الشطرنج معي ! وصادقت الممرضات ، وكنت أنفذ أوامرهن بلا تردد ! وصادقت رجال البوليس التركي الذين يحرسون غرفتي ويمنعون خروجي منها ، وكنت أحييهم باستمرار كلما التقت عيني بأعينهم ! حتى الوالي ، بدأت أتودد إليه ، وأرسل إليه التهاني في المناسبات والأعياد !

وذات مساء !

جاءني مدير المستشفى يروي لي قصة مخجلة ، بطلتها الملكة زين أيضا !

قال مدير المستشفى :

– هل تعلم جلالتك أن الملكة زين كانت في إستانبول أمس ؟

و لم أصدق الطبيب ، فقد خيل إلي أن زين لا يمكن أن تعود إلى إستانبول بعد أن ضبطت في حادثة التهريب .

ولكن الطبيب ، أقسم بصحة ما يقول ، ومضى يكمل كلامه .

قال :

– لقد جاءت الملكة زين إلى مطار إستانبول في طائرة أردنية خاصة وكان في استقبالها عدنان مندريس رئيس الوزراء شخصيا !

وكان مع الملكة زين ، إحدى وصيفاتها وياور خاص في الخامسة والعشرين من عمره !

وقبل أن تغادر المطار ، طلبت إلى عدنان مندريس السماح لبعض سيارات السفارة التي كانت في انتظارها بالدخول إلى الطائرة لنقل الحقائب .

ودخلت بالفعل سيارتان كبيرتان إلى جوار الطائرة ، وتولى الياور الشاب الإشراف على نقل حقائب الملكة !

وقال الطبيب :

– هل تعرف جلالتك ما عدد حقائب الملكة ، إن العدد الذي استطعت أن أحصيه كان يزيد عن عشرين حقيبة !

وسألته على الفور :

– هل كنت في المطار !

قال : نعم !

قلت : كيف عرفت بوصول الملكة ؟

قال : أبلغني والي إستانبول رسالة عاجلة من رئيس الوزراء عدنان مندريس بالتوجه إلى المطار ، لاحتمال مرافقة الملكة زين إلى المستشفى لزيارة جلالتك !

وصمت الطبيب قليلا ، ثم عاد يكمل قصته .

– .... وتقدمت إلى الملكة ، عارضا خدماتي ، فقالت لي في لهجة مهينة :

– هل تصلك المخصصات ؟

« تقصد طبعا المبلغ الذي ترشو به الطبيب للإبقاء علي في المستشفى » .

قلت لها : لم أحضر من أجل المخصصات .

قالت : ماذا تريد إذن ؟

قلت : لقد قيل لي إن هناك احتمالا بأن تطلبي زيارة الملك طلال ، فجئت لمرافقتك .

وردت الملكة في ثورة : من قال ذلك ، من قال ذلك ؟

ونظرت إلى رئيس الوزراء عدنان مندريس وقلت : فخامة رئيس الوزراء !

واحمر وجه عدنان مندريس ، ولم يتكلم .

أما الملكة زين ، فقد قالت : لا أريد أن أراه !

ونظرت إلي الياور الشاب ، وقالت له : هل نقلت الحقائب !

قال : نعم .

وصافحت الملكة عدنان مندريس مودعة ، ثم أسرعت إلى فندق هيلتون .

وقال الطبيب :

– هل تسمح لي جلالتك بأن أروي باقي القصة ؟

وضحكت .

وعاد الطبيب يتكلم .

قال :

– إن الملكة زين تهرب الأفيون من تركيا إلى الأردن ! لقد كانت جميع الحقائب التي أحضرتها فارغة ! وعلى أثر وصولها إلى الفندق ، بدأ الياور الشاب ، في مباشرة « حشو » الحقائب بالأفيون ، الذي كان موضوعا في جناحها بفندق هيلتون .

وفي فجر اليوم التالي مباشرة ، ذهبت الملكة إلى المطار ،

وأشرفت على نقل الحقائب إلى الطائرة الخاصة ، وسافرت إلى عمان !

وقال الطبيب : إن كل مواطن في إستانبول ، أصبح يعرف قصة الملكة المهربة !

ولم أعلق بكلمة واحدة على قصة الطبيب حتى إنه قال لي :

– أرجو ألا أكون قد خرجت على اللياقة برواية هذه القصة .

ولم أجبه ... واكتفيت بالابتسام ... » .

الفصل الثالث عشر

مع الذكريات

عدت إلى الخطة التي قررت اتباعها ، خطة التسليم بالأمر الواقع .

وجلست ، وحدي ، أفكر .

وما أكثر جلسات التفكير ، التي أعقدها مع نفسي ، لأستعرض ما حدث لي من مآس وآلام .

لقد شاء القدر أن يقسو علي ، في جميع مراحل حياتي .

ولا أعتقد أن إنسانا ما ، مر بنفس ظروفي ، أو عاش حياتي ، أو حتى جزءا منها .

لا أعتقد !

وبدأت أستعيد أحداثا كثيرة عاصرتها وشاركت فيها .. في سنوات صباي الأولى .

كان الملك عبد الله يكرهني ، كما لو كنت ألد أعدائه !

كان يختلق الأسباب ، حتى يبعدني عن مجلسه ، ويحرمني حنانه وعطفه .

كان يسبني علنا ، أمام الخدم .

كان ينفق عن سعة ، ويسرف في الهبات والعطايا ، ثم يمنع عني مصروفي الخاص .

وأكثر من مرة ، صاح في وجهي : اغرب عني ، لا أريد رؤية وجهك المشئوم !

لماذا ؟

لماذا .. يتشاءم والدي من وجهي ؟

بدأت أبحث عن السبب .

ولم أجد سوى سبب واحد ، هو تعلق جدي الملك حسين بي ، وحبه الشديد لي !

لقد ولدت في مكة .

ولمست منذ بدأت أعي الأمور كره والدي الشديد لي .

وبدأت أبحث عمن يعوضني الحنان الأبوي ، الذي أفتقده .

فاتجهت إلى جدي الملك حسين .

كان جدي ، رحمه الله ، رجلا ورعا ، وكان دائم الثورة على تصرفات والدي الذي كان يساير الاستعمار رغم تظاهره بالزهد والتدين !

وعندما بلغت الحادية عشرة من عمري ، قرر جدي الحج ، واختارني لمرافقته ، وكان مفروضا أن يختار والدي !

وتألم والدي من تجاهل جدي له ، فازدادت كراهيته لي ولوالده أيضا !

وبدأت علاقتي بجدي ، تقوى وتتضح ، فقاطعنا الملك عبد الله ولم يعد يكلف نفسه مهمة السؤال عنا !

وعندما مات جدي ، كانت خسارتي عظيمة ، فقد فقدت معه الحنان والعطف والحب الصادق .

في قبرص

وعندما أفكر ، كيف يقبل ابني الملك حسين ، أن تعاملني زين كما تعامل الكلاب وأن تلقي بي بين المجانين ؟! كانت تقفز إلى ذهني على الفور قصة توضح بجلاء وحدة التفكير بين والدي الملك عبد الله ، وابني الملك حسين !

ما هي القصة ؟

عندما أصدرت السلطات البريطانية قرارا بنفي جدي الملك حسين إلى قبرص ، تقبل جدي القرار ، بابتسامة عريضة وقبل سفره بيوم واحد زاره المندوب السامي البريطاني ، وسأله إذا كان يرغب في اصطحاب أحد من أفراد أسرته معه ، فرد جدي على الفور :

نعم ... طلال !

وهكذا سافرت مع جدي إلى قبرص .

وهناك أعد لنا منزل متواضع .

ومرت الأيام ، كما لو كانت أجيالا طويلة !

وساءت حالتنا المالية .

لقد كانت المخصصات التي تصرف لجدي محدودة ، تكفي بصعوبة لنفقات الطعام والعلاج .

وذات يوم .

جاءنا الحاكم البريطاني لجزيرة قبرص ، وعرض علي منصب نائب الحاكم !

ولم أتردد في الموافقة ، فقد كنت أرغب في مساعدة جدي !

وتسلمت ، بالفعل ، عملي الجديد .

ولكن .... ماذا حدث ؟

لقد كنت أعمل ... ولا أعمل .

كان منصبي هو : نائب الحاكم العام للجزيرة .

ومع ذلك ، كنت لا أباشر أي عمل ، سوى قراءة الصحف وشرب القهوة !

ولم أطق البقاء على هذا الوضع ، فتركت العمل دون أن أقدم استقالة !

وعدت إلى جدي ، أشرف على راحته وعلاجه .

واستمرت حالتنا المادية ، تسوء .

إلى أن كلفني جدي ذات يوم بالسفر إلى شرق الأردن ، لمقابلة أميرها وقتئذ ، والدي الأمير عبد الله !

وطلب إلي توضيح ظروفنا له ، وطلب مساعدة مالية عاجلة منه !

وسافرت إلى عمان .

وأسرعت إلى والدي ، أشرح له حالة جدي وظروفه .

وكدت أصعق عندما رد والدي قائلا :

– لست مستعدا لمساعدة هذا الرجل المجنون !

وسألته في استغراب : من تقصد ؟

فأكد أنه يقصد والده الملك حسين ، يقصد جدي !

وشرعت في مناقشته ، غير أنه ثار في وجهي ، وأمرني بالعودة فورا ، إلى قبرص .

وأفهمته أني لا أملك ، حتى ثمن العودة .

فرد في قسوة : « دبر حالك » !

ولم أجد بدا من الاقتراض من أحد رجال القصر للسفر ، ليس إلى قبرص ولكن إلى العراق ، لعرض قضية جدي على الملك علي .

ووصلت إلى بغداد .

وأسرعت إلى القصر الملكي ، وطلبت مقابلة عمي الملك علي ، أو عمي الملك فيصل ، ولكن كلاهما رفضا مقابلتي !

وبعد أسبوع ، تمكنت من مقابلة الأمير غازي – الملك غازي فيما بعد – وعرضت عليه مهمتي ، فقرر مساعدتي في تحديد موعد للاجتماع بالملك علي والملك فيصل .

وتم الاجتماع بالفعل .

ولكن ، ماذا حدث ؟

لقد اتخذ الاثنان ، نفس موقف والدي . لقد رفضا تقديم أي مساعدة إلى جدي .

وقررت العودة إلى قبرص .

ولكن ، أين نفقات العودة ؟

واقترضت بضعة دنانير من الأمير غازي ، حتى أتمكن من العودة !

وعندما وصلت قبرص ، وذهبت إلى جدي ، أروي له ما حدث ، ابتسم ، وقال :

– هذا ، ما كنت أتوقعة ؟

واستمرت حالة جدي الصحية ، تسوء وتسوء .

ثم .... مات..... !

العودة إلى عمان

بعد موت جدي اضطررت للعودة إلى عمان !

وبقيت شهرا دون أن أطلب مقابلة والدي ، الملك عبدالله ! إلى أن جاءني رئيس ديوانه ، ذات يوم ، وأبلغني رسالة منه ، بالحضور إلى القصر لمقابلته .

وذهبت ....

وبقيت في غرفة السكرتير عدة ساعات ، إلى أن سمح لي بالمقابلة .

كانت المقابلة قصيرة ، جافة ، أبلغني خلالها أنه قرر تخصيص راتب شهري لي قدره 80 دينارا !

ثم طلب مني رسميا البحث عن مكان لإقامتي ، خارج القصور الملكية !

ولم يكن أمامي سوى الموافقة !

وجمعت ملابسي ، وغادرت القصر الملكي ، الذي كنت أقيم به مع أخي ، غير الشقيق ، الأمير نايف !

واحترت .

أين أذهب ؟

هل أذهب إلى فندق ؟

هل أذهب إلى منزل أحد أصدقائي ؟

هل أذهب إلى منزل أحد أقربائي ؟

هل أغادر عمان كلها ؟

وقررت أن أترك حقائبي في سيارتي وأذهب لزيارة أحد أصدقائي ، ليساعدني في البحث عن شقة .

وأصر الصديق علي أن يترك لي شقته ويبحث لنفسه عن شقة أخرى .

ووافقت إزاء إصراره الشديد .

وهكذا .... أصبح مكان إقامتي ، شقة صديقي المتواضعة في جبل عمان والتي لا يزيد إيجارها الشهري عن 18 دينارا !

وبعدت عن والدي ، أصبحت أعيش وحدي ، ولا أحاول الاختلاط بأي فرد من أفراد العائلة المالكة ، أو حتى أصدقائها .

كنت سعيدا بهذا الانفصال ، فقد جنبني الكثير من المشاكل ، والمضايقات والمتاعب .

وبدأت أعيد تنظيم حياتي .

وبدأت أبحث عن عمل لي في أوقات فراغي .

ولم أحتجب عن الناس ، كما يفعل باقي أفراد العائلة المالكة ،

لقد كنت أنزل إلى الشارع ، وأجلس في الأندية ، والمقاهي ، وأزور المواطنين ، وأشاركهم أفراحهم وأحزانهم ، وأناقشهم في آرائهم ومعتقداتهم ، وأسمح لهم بمناقشتي في أي قضية عامة ، أو خاصة .

وذات يوم .

جاءني رئيس الديوان الملكي ، وهو يبتسم في خبث ، ثم قال :

– لقد أعد لك جلالة الملك مفاجأة سارة ؟

ورفضت أن أصدق أن والدي يفكر في أي عمل لصالحي ، فقلت لرئيس الديوان :

– ماذا يريد صاحب الجلالة ؟ أرجوك أن تطلب منه أن يتركني وشأني !

ورد رئيس الديوان ، كأنه يصدر قرارا حاسما :

– لقد قرر جلالة الملك تزويجك ، وحدد الساعة الثامنة مساء لمقابلتك والتحدث معك حول هذا الموضوع .

ولم يترك لي مجالا للرد ، أو التعليق ، وتركني وانصرف !

واحترت .

كيف أتصرف ؟!

هل ألبي دعوة الملك عبد الله ، وأوافق على الزواج من أية فتاة يختارها لي ؟ أم أرفض الذهاب إليه ؟

وقررت ، بعد تفكير طويل ، الذهاب إلى القصر الملكي ، لإبلاغ الملك ، بأنني لا أرغب في الزواج .

وذهبت بالفعل .

وكانت مفاجأة ضخمة ، عندما وجدت الملك عبد الله ، في انتظاري ، وإلى جواره السفير البريطاني !

وعانقني الملك ، لأول مرة في تاريخ حياتي ، ثم طلب إلي أن أجلس إلى جواره .

وابتسم الملك عبد الله ابتسامة صفراء ، ثم قال :

– مبروك !

وبدون تردد أو انتظار ، وقفت صائحا :

– لا ..... لن أتزوج ! إن الزواج أمر يخصني وحدي ، ولا يجب أن يبت فيه أحد سواي .

وبهت الملك .

ثم أمر بترجمة كلامي إلى السفير .... وتكلم السفير .

قال : إنني أعرف أسرة العروس ، إنها أسرة عريقة !

وثرت في وجه السفير ، وقلت :

– يكفي أن تكون على صلة بأسرة العروس لأعدل عن الزواج منها !

وأحمر وجه الملك عبد الله ، وصاح :

– أنت وقح !

وغادرت قاعة العرش ، حيث كان يجلس الملك عبد الله ، دون استئذان أو تحية !

وعدت إلى منزلي .

وبعد نصف ساعة ، كان الباب يطرق بشدة .

وكانت مفاجأة ضخمة ، عندما فتحت باب شقتي المتواضعة لأجدني وجها لوجه أمام والدي ، الملك عبد الله !

واحترت .

كيف أتصرف معه ؟

لقد قررت بيني وبين نفسي مقاطعته ، قررت اعتباره غير موجود ، قررت أن أنسى أن لي والدا على قيد الحياة !

وترددت لحظة ، قبل أن أدعوه للدخول .

ثم قلت له في تثاقل : شرفتنا !

وضحك الملك عبد الله ، وقال : شكرا .... شكرا .

وقبل أن أغلق الباب ، كان عدد كبير من رجال الحرس الذين يرافقون الملك عبد الله ، قد دفعوا الباب ، وانتشروا في أرجاء الشقة ، بعضهم دخل إلى الغرفة التي يجلس فيها الملك ، وبعضهم دخل إلى غرفة الطعام ، وفريق ثالث دخل إلى غرفة النوم !

وصحت في رجال الحرس : اخرجوا بره .

ولم يتحرك واحد منهم !

وسمعت قهقهة عالية ، ترتفع من الغرفة التي يجلس فيها الملك عبد الله ، فاتجهت نحوه ، وصحت في وجهه هو الآخر :
كيف تسمح لرجالك باقتحام شقتي على هذه الصورة ؟

ورد في برود : مجرد إجراءات بسيطة للأمن !

قلت له : أنا لا أقبل تفتيش شقتي .

قال : ربما كانت تضم متفجرات !

قلت : إنها لا تضم أي نوع من أنواع السلاح ، أو الذخيرة .

قال : ولكن هناك من يزعم أن شقتك مخزن للأسلحة !

قلت : من قال ذلك ؟

قال : كثيرون !

قلت : ولماذا أجعل من شقتي مخزنا للأسلحة ؟

قال : إنهم يقولون إنك بصدد قلب نظام الحكم .

قلت : أي حكم ؟

قال : الحكم في الأردن .

قلت : أنا لا أتفق معك في وجهات نظرك ، تجاه الموقف في الداخل ، ولا أؤيد سياستك الخارجية ، ولكن ذلك لا يعني أنني أفكر في قلب نظام الحكم !

قال : من يدري !

ثم أطلق ضحكة عالية .

وازدادت ثورتي .

واستمرت ضحكات الملك عبد الله !

ثم استدعى أحد ضباط حرسه ، وكان قد « تخصص » في رواية النكت والطرائف ، وقال له :

– هات ما عندك .

وضحك الضابط ، ثم جلس على الأرض ، تحت أقدام الملك عبد الله ، وقال :

– يقولون إن بعض المجانين ، يفكرون في قلب نظام الحكم !

وارتفعت ضحكات الملك عبد الله !

أما أنا فقد ربطت على الفور ، بين حديث الملك عبد الله معي وكلام الضابط « الرقيع » ، فصفعته ، وأمرته بمغادرة المنزل .

وتدخل الملك عبد الله .

قال : إنه لم يقل أي شيء معيب ، ولا أرى مبررا لطرده !

قلت : يجب أن يطرد فورا !

قال الملك : لا ... لن يغادر المنزل قبل أن أغادره !

وبدون تردد ، صحت : إذن أرجوك أن تتركني وحدي في منزلي !

وذعر الملك عبد الله .

ثم وقف .

واتجه نحوي ، وقد تجهم وجهه ، ثم قال :

– هل تطردني يا طلال ؟

قلت : لا أريد استفزازات جديدة .

قال : من يستفزك ؟

قلت : أنت !

ورفع الملك عبد الله يده .

وتصورت أنه قرر أن يصفعني !

وتراجعت إلى الوراء بسرعة .

وصحت : ابعد عني ، ابعد عني !

ومع ذلك .

استمر الملك يقترب ، ويقترب .

ثم فوجئت به ، يضع يده المرفوعة فوق كتفي ، ويقول :

– لقد جئت لأستأنف معك حديث الزواج !

فقلت في إصرار : لا أريد أن أتزوج !

قال : لن أقبل أن يكون ولي العهد أعزب !

قلت : لا أريد أن أكون وليا للعهد !

قال : أنت مجنون !

قلت : بل في منتهى العقل !

قال : سأترك لك مهلة للتفكير ، وسوف أرسل لك غدا رئيس الديوان لتبلغه قرارك الأخير .

ولم أرد بكلمة واحدة .

وتركني الملك . وغادر الشقة ، ومن خلفه طابور حرسه الطويل .

زواج بالأمر

لم يتوقف تفكير الملك عبد الله ، في مشروع زواجي .

وأخذ يرسل لي بين الحين والآخر ، رسلا من قبله للتحدث معي حول هذا الموضوع .

وكثيرا ما كان يرسل لي أصدقاء أعزاء ، فكنت أضطر إلى أن أعدهم ، بأني سأفكر جديا ، في الموضوع .

وتضايقت !

وسئمت حديث الزواج .

ولم أعرف لماذا يصر والدي على زواجي ؟

ولم أعرف من هي العائلة التي قرر « جلالته » أن يختار منها عروسي .

وقررت إعلان موافقتي على الزواج !

وعندما اتخذت هذا القرار ، كان لي هدفان :

الأول : وقف أحاديث والدي حول هذا الموضوع ، ووقف تدخل الوسطاء .

ثانيا : معرفة هدف والدي من وراء هذا الزواج !

وذهبت إلى القصر الملكي ، لأبلغ الملك بقراري .

وكاد الملك يطير فرحا ، وهو يستمع إلى موافقتي !

وخدعت ، تصورت أنه قد أصبح أبا طبيعيا ، يهتم بي ، ويحرص على مصلحتي ، وإسعادي !

تجاهلت كراهيته الشديدة لي ، تجاهلت مواقفه السيئة مني ، تجاهلت أحاديثه الطويلة عني ، تجاهلت كل ذلك وسألته ، وقد صفت نفسي تماما :

– من هي العروس ؟

وازداد شوقي إلى معرفتها عندما قال لي :

– إنك تعرف شقيقها جيدا ، وربما تعرفها هي أيضا !

قلت في لهفة :

– من هي ؟

قال :

– إنها شقيقة الشريف ناصر ، إنها « الشريفة » زين !

ولم أصدق .

وعقدت الدهشة لساني .

وتمالكت أعصابي بصعوبة شديدة ، ثم قلت له :

هل تعرف من هو ناصر !

قال ، والابتسامة الصفراء على شفتيه :

– طبعا .... طبعا ، أعرفه !

قلت :

– إنه سفاح ، إنه قاتل ، إنه لص ، إنه قاطع طرق ، إنه نصاب ، هل ترضى جلالتك أن تصاهر هذا الرجل ؟

قال ، والابتسامة الصفراء مازالت على شفتيه :

– لا تتحامل عليه ، أنه رجل طيب !

قلت في ثورة :

– إذا كنت تعتقد إنه رجل طيب ، فأنت لا تعرفه .

قال :

– على كل حال ، أنت لن تتزوج ناصر ، سوف تتزوج شقيقته !

قلت :

– إني أعلم جيدا ، أن جميع أفراد هذه الأسرة ، قد تأثروا إلى حد بعيد بناصر !

قال :

– لا أعتقد !

ومع ذلك ، فأنا المسئول عن هذا الزواج ! أنا واثق أنه سيكون زواجا موفقا !

ومرت فترة صمت ، ربما تزيد على ربع ساعة ، تشاغل الملك خلالها ، بأكل الفستق ، وتبادل النكات مع أحد خدمه ، كعادته !

ثم وقف الملك عبد الله .

ولم أقف .

وتغيرت ملامح الملك ، ثم قال لي :

– قبل أن تصف « الأشراف » بأبشع الصفات ، حاول أن تصلح من نفسك !

قلت وقد تنبهت إلى وقوفه :

– هل أخطأت ؟

قال :

– أبشع خطأ ، إنك تحدثني ، وأنت جالس !

ووقفت .

واتجه الملك نحوي ، ثم قال في لهجة الأمر :

– غدا سأعلن نبأ الخطبة !

ولم أرد بكلمة واحدة !

وانصرفت ، دون أن أحييه .

وجاء الغد .

وأعلن الملك عبد الله ، نبأ الخطبة فعلا بل إنه حدد موعد الزواج أيضا !

وفكرت في أن أترك عمان ، وأهاجر إلى أي دولة في العالم ، حتى أتخلص من هذا الزواج .

ولكني ، عدت فعدلت ، بعد نصائح أصدقائي .

وبعد أيام قليلة ، أبلغني الملك عبد الله أنه قرر استدعاء « زين » للإقامة لمدة شهرين في القصر الملكي قبل أن يتم الزفاف !

ولم أفهم ، ماذا يهدف من وراء ذلك ؟

واحترت ، ماذا أقول ؟

ولم أجد مناصا في النهاية من أن أقول له :

– الأمر متروك لكم !

وفي اليوم التالي ، علمت أن « زين » قد ذهبت بالفعل إلى القصر الملكي .

وذهبت إلى القصر لرؤيتها !

وفوجئت بأمر ملكي ، بعدم السماح لي برؤيتها !

ولم أصدق ذلك ، وذهبت إلى الملك أسأله عن صحة هذا « الأمر الملكي » فقال ، في بساطة :

– نعم !

ولم أدر سر هذا الأمر الغريب !

وقررت عدم الذهاب إلى القصر .

غير أني اضطررت لخرق هذا القرار ، بعد ثلاثة أيام ، فقد نما إلى علمي أن السفير البريطاني ، وزوجته ، قابلا زين وأمضيا معها أكثر من ساعتين ، في اليوم الأول لوصولها إلى القصر !

وقيل لي إن السفير البريطاني دعا « زين » للغداء في منزله في اليوم الثاني ! وبلغني أن قرينة السفير البريطاني زارت زين في اليوم الثالث !

وذهبت إلى الملك ، أسأله عن صحة المعلومات التي وصلتني فقال ببساطة :

– نعم ، هذه المعلومات صحيحة !

وسألته :

– ماذا وراء كل هذه الاتصالات التي تدور بين زين ، والسفير البريطاني وقرينته ؟

قال :

– إنها زيارات للمجاملة !

قلت :

– إنني أرفض أن يجتمع السفير بزوجتي !

قال :

– إنها ليست زوجتك حتى الآن !

وثرت ، وغادرت القصر .

وقررت بيني وبين نفسي ، أن أتجاهل كل ما أسمعه ، بل إنني عدت أفكر في التخلص من هذا الزواج .

ومضى شهران ، وربما أكثر ، لم يفكر والدي خلالهما ، في استدعائي للحديث حول موضوع الزواج ، أو معرفة رأيي

في موعد الزواج ، أو حتى معرفة سبب عدم اتصالي بالقصر .

وذات يوم ، جاءني رئيس الديوان ، وقال :

– لقد صدرت « الرغبة الملكية » بإتمام الزواج بعد غد !

ثم انصرف على الفور .

مفاجأة

جاء الموعد المحدد للزواج .

وذهبت إلى القصر الملكي ، حيث أقيم حفل العرس .

وظللت واجما طوال الحفل ، لم أتكلم ! لم أبتسم ! لم أرد على تهنئة المدعوين ! لم أبحث عن العروس !

وانتهى الحفل .

وأذن لي الملك ، برؤية العروس واصطحابها إلى المنزل !

وذهبت إلى العروس .

كانت تجلس وحدها ، وكانت تنظر لي في برود ، ولم تكلف نفسها « مشقة » رد التحية التي وجهتها إليها !

وطلبت إليها أن ترافقني إلى المنزل ، لنتكلم .

ووافقت في تكاسل .

وذهبنا إلى المنزل .

ومرت فترة صمت غير قصيرة ، لم يحاول خلالها ، أي منا بدء حديثه مع الآخر !

ثم ... تكلمت زين .

قالت : أريد أن أصارحك بأمر هام .

وترددت لحظات ، ثم قالت :

– أنا لا أحبك !

وضحكت ، وقلت لها :

– أنا شديد التأكد من ذلك !

ويبدو أنها كانت لا تتوقع هذا الرد فقد قالت وقد فشلت في السيطرة على هدوئها :

– لن أستطيع أن أعيش معك ! لن تصبح زوجا لي في يوم من الأيام !

قلت على الفور : موافق !

وانتهى حديثنا .

وأسرعت زين إلى غرفة نومها ، وأغلقت الباب وراءها !

وهكذا ، مرت ليلة الزفاف ؟

الفصل الرابع عشر

قطع المخصصات

كنت مؤمنا ، بأن زواجي من زين زواج فاشل ، لا يمكن أن يستمر ، ولذلك لم أحاول إصلاحها ، ولم أحاول التحدث إليها طوال الشهر الأول لزواجنا !

كنا زوجين أمام الناس ، وكنا في الواقع ، أشبه بعدوين يتربص كل منهما للآخر ، ويتلمس له الأخطاء للقضاء عليه !

وذات يوم .

اتصل بي الملك عبد الله ، تليفونيا ، وطلب إلي زيارته على وجه السرعة .

وذهبت إلى القصر الملكي .

واستقبلني رئيس الديوان على الباب وقال لي : لا تحاول إثارة الملك ، إنه غاضب جدا ، إنه لم يتناول أي طعام حتى الآن ، إنه يقطع غرفة مكتبه ذهابا وإيابا ، منذ الصباح الباكر !
وطرقت باب غرفة المكتب .

وما كاد الملك يرى وجهي ، حتى صاح في غضب :
– أنت مجنون ! لا يمكن أن تصدر مثل هذه التصرفات عن رجل عاقل !
وسألته في دهشة :
– ماذا تقصد ؟

قال في ثورة :

– تصرفاتك مع زوجتك ، كيف تخاصمها في ليلة الزفاف ؟ كيف تغلق عليها باب غرفة النوم ، وتذهب لقضاء سهراتك ؟ كيف ترفض تناول الطعام معها ؟ كيف تمنعها من الاتصال بالتليفون ؟

وحاولت أن أشرح له ، ما دار بيني وبين زين ، حاولت أن أبين له أن كل اتهاماته ، مجرد افتراءات ، ولكنه لم يسمح لي بالكلام ، وأمرني بإصلاح « علاقتي » فورا بزين ! ثم هددني بقطع المخصصات عني في حالة مخالفتي لهذا الأمر !

وأمرني بالانصراف ؟

عدت إلى منزلي ، وحاولت أن أتجاهل حديثي الأول مع زين ، حاولت أن أبدأ صفحة جديدة معها ، ونجحت بالفعل في ذلك ، ولكن ، ما لبث زين أن اختلقت حادثا تافها ، لإعادة الجفاء بيننا .

ويبدو أن الملك عبد الله ، عرف بالجفاء الجديد ، فأمر بقطع راتبي أو المخصصات كما كان يسميها !

ثم ... أمر بسحب السيارة المخصصة لي !

ثم ... أصدر أمرا بمنعي من دخول القصر الذي يقيم به !

ثم ... أمر بعدم دفع الإيجار الشهري للمنزل الذي أقيم به !

وقررت تجاهل جميع هذه التصرفات .

ويبدو أن الملك عبد الله ، ضايقه ذلك ... فأرسل لي رئيس

ديوانه ، ليبلغني استعداده للعفو عني ، إذا عادت العلاقات الطيبة بيني ، وبين زين !

وطردت رئيس الديوان ، من منزلي ، بعد أن قلت له : إنني لا أسمح للملك أو غيره ، بالتدخل بيني وبين زوجتي !

وتركت المنزل الذي كنت أقيم به .

وانتقلت إلى منزل صغير ، في جبل عمان ، إيجاره الشهري ثلاثون دينارا !

وقبل أن أتسلم المنزل الجديد ، جاءني صاحبه ، وأقسم ألا يتقاضى مني أجرا طوال فترة إقامتي في منزله .

وهكذا ، حلت مشكلة إيجار المنزل .

بقيت المشكلة الأخرى ، مشكلة الطعام !

وجاءني أكثر من صديق ، وعرضوا عليّ مبالغ كبيرة ، كقروض ، فوافقت على الفور .

وحلت أيضا مشكلة نفقات الطعام .

مشكلة المشاكل

وبقيت مشكلة المشاكل ، أعني زين !

كيف أتصرف معها ؟

هل أطلقها ؟

هل أمنعها من الاتصال بالقصر الملكي !

هل أبعدها عن أهلها ؟

وقررت أن أتحدث مع زين ، حول الوضع الجديد ... وأوضحت لها ، بالفعل آخر تطورات العلاقات بيني وبين والدي وقلت لها : لقد قررت الانفصال عنه نهائيا !

ثم سألتها : هل ترغب في الطلاق ؟ فقالت والدموع تنساب فوق وجنتيها : لا .... لا أريد أن أبعد عنك ، دقيقة واحدة !

وخدعتني الدموع ، تصورتها دموعا صادقة فقلت لها : وأنا الآخر لا أريد أن أبعد عنك ، ولكن ، لي عدة شروط ، يجب الموافقة عليها !

فقالت على الفور : موافقة ، موافقة ، على أي طلب لك !

وبدأت أوضح لها ما أطلبه منها .

قلت لها :

- لا أريد الاتصال بالقصر !
- لا أريد مغادرة المنزل ، دون إبلاغي بذلك !
- لا أريد الاتصال بالسفراء أو زوجاتهم وخاصة السفير البريطاني !

وقبلت زين ، جميع شروطي على الفور .

وبدأنا نعيش حياة طبيعية ، حياة سعيدة !

وأنجبنا ابننا الأول : حسين .

ثم أنجبنا محمد ... وحسن وبسمة .

وكانت زين تبدو سعيدة بحياتها الجديدة معي ، وكانت تظهر لي باستمرار ، هذه السعادة .

وأصبحت تكره المجتمعات ، وتقاوم التعرف بأية سيدة ، أو رجل .

إلى أن جاءتني ذات يوم ، وأبلغتني إن الملك عبد الله أرسل لها هدية !

ثم قالت لي في يوم آخر أن الملك عبد الله اتصل بها وعاتبها ، لأنها لم تطلق اسمه على أحد أبنائها !

ثم قالت لي في يوم ثالث : إن الملك عبد الله طلب رؤية الأولاد ، وأرسل لهم السيارة بالفعل ، لتقلهم إلى القصر .

وفي يوم رابع قالت لي : لقد قررت زيارة القصر الملكي !

وسألتها : لماذا ؟

قالت : لأن الملك عبد الله أمر بذلك !

ولم أحاول منعها ، تصورت أن الفترة التي عاشتها بعيدة

عن القصر الملكي قد غيرت من شخصيتها السابقة .

ولكن .

يبدو أني أخطأت التقدير .

فقد عادت زين إلى بيتها ، بعد زيارتها للقصر الملكي ، وقد تغيرت ملامح وجهها ، وتغير أسلوبها في الحديث معي ، وقالت في ثورة :

– لا يمكن أن نبقى هكذا ، في هذا المنزل الصغير !

وأردت استدراجها ، لمعرفة هدفها كاملا ، فقلت لها :

– ولكن ، من أين لنا بالمال ؟

قالت : إن الملك وافق على إعادة صرف مخصصاتك !

قلت : إنها لا تكفي لإقامتنا في منزل كبير !

قالت : سأحصل على مساعدات أخرى من الملك أيضا .

قلت : هل وعدك الملك بذلك ؟

قالت : نعم .

ولم أعقب على كلامها .

وقررت أن أرقب تصرفاتها .

وفي اليوم التالي مباشرة ، جاءت تبلغني : أنها ذاهبة إلى

القصر الملكي !

ولم أحاول منعها !

وفي اليوم الثالث ، أبلغتني أنها قد أرسلت الأولاد للإقامة في القصر الملكي لمدة أسبوع . بناء على طلب الملك عبد الله !

ولم أعارض .

وبدأت زين تتردد على القصر الملكي بحجة الاطمئنان على الأولاد .

وانتهى الأسبوع .

وعاد محمد وحسن وبسمة . ولم يعد حسين !

وسألتها : أين حسين ؟

قالت : لقد قرر جده الملك ، إبقاءه إلى جانبه !

قلت : وهل وافق حسين على ذلك ؟

قالت : إن حسين شديد التعلق بجده !

وهكذا ... .

أصبحت لا أرى حسينا إلا مرة كل شهر ، وكان يلقاني دوما في برود ، رغم حرارة الشوق الذي ألقاه به .

وفهمت ، فيما بعد سر الفتور الذي يلقاني به ، فقد علمت أن الملك عبد الله ، كان يهاجمني باستمرار أمامه ، وكان يروي

له قصصا تؤكد أنني مجنون !

وأوضحت لزين ، نتيجة مخالطة حسين لجده ، وطلبت إليها إعادته إلى منزلنا ، غير أنها تمسكت بإبقائه في القصر !

وثرت .

قلت لها : لن أسمح لك بالبقاء في منزلي ، ما لم يعد حسين !

وذهبت زين إلى القصر الملكي لإحضار حسين ، وكان معها محمد وحسن وبسمة ... ولكنها ، لم تعد !

فقد أبلغت الملك عبد الله بما حدث بيني وبينها ، فأمرها بالبقاء مع أولادها بالقصر .

وتجددت المشاكل بيني وبين الملك .

الفصل الخامس عشر

اغتيال الملك

ذاعت قصة الأمر الملكي ، بمنع زوجتي وأولادي من العودة إلى منزلي ، وأصبحت على لسان كل مواطن في المملكة .

وذات يوم جاءني توفيق أبو الهدى باشا ، يسألني عن مدى صحة هذه القصة فأكدتها له فقال لي : إنه يتعهد بإقناع الملك عبد الله بإعادة زين والأولاد إلى منزلي ، إذا ذهبت لزيارة الملك .

ورفضت الفكرة .

فقال توفيق أبو الهدى : إن الملك عبد الله كلفه القيام بهذه المهمة !

وأفهمني أن الملك لا يمانع في إعادة زين والأولاد إلى منزلي ولكن ، بشرط أن أقوم بزيارته !

وزرت الملك .

ولم تستغرق الزيارة سوى خمس دقائق .

ثم عدت إلى المنزل ، ومعي زين والأولاد .

لم أحاول إثارة أعصابي ، لم أحاول خلق مشاكل جديدة ، وقررت عدم محاسبة زين ، عن الفترة التي أمضتها في القصر الملكي ، غير أن زين كانت على النقيض تماما ، فقد كانت تتعمد استفزازي باستمرار .

كانت تفتعل المشاكل ، وكانت تحرص على انتهاز أي فرصة أو أي مناسبة لتذهب إلى القصر الملكي دون استئذان ، وأكثر من مرة عدت إلى منزلي ، ولم أجدها ولم أعرف أين ذهبت !

ثم عرفت حقائق غريبة !

عرفت سر حرصها على الخروج ، وعرفت أين كانت تذهب . لقد قدمها الملك عبد الله إلى السفير البريطاني الجديد ، وبدأ السفير البريطاني وقرينته يدعوانها بين الحين والآخر للغداء ، أو العشاء معهما .

وعرفت أن المساعدات التي قالت إنها تحصل عليها من الملك عبد الله شخصيا ، كانت تحصل عليها من السفارة البريطانية .

وأكثر من مرة ، كدت أفقد أعصابي وأرتكب تصرفا قاسيا معها ، ومع الملك أيضا .

ولكن ، القدر كان يحول دوما بيني وبين الإقدام على أي عمل غير سليم .

وساءت صحتي .

ومرضت .

واشتد مرضي .

وكنت أبحث عن زين ، لتقف إلى جانبي ، وتشرف على علاجي ، فيقال لي إنها ذهبت إلى القصر الملكي ، أي إلى السفارة البريطانية .

ولم يطرأ أي تحسن على صحتي .

وبدأت أشك في الأطباء الأردنيين الذين يتولون علاجي . تصورت أن والدي أمرهم بإهمال علاجي .

وطلبت من أحد أصدقائي ، إحضار طبيب من سوريا .

وجاءني الطبيب السوري بالفعل .

ونصحني بالسفر إلى سويسرا للعلاج بإحدى مصحاتها .

وسافرت إلى سويسرا .

وبعد شهر تقريبا ، بدأت صحتي في التحسن .

وفي أحد الأيام ، وكان يوم جمعة على ما أتذكر .

جاءني سفير الأردن ببرن ، مع عدد من رجالات العرب الذين كانوا يقضون أشهر الصيف في سويسرا ، وراحوا يمطرونني بعبارات العزاء .

وسألتهم في استغراب :

– إيه الحكاية ؟

وارتفع صوت السفير : لقد اغتيل الملك عبد الله !

ولم أدهش للنبأ ، ولم أفاجأ به ، فقد كنت قد تلقيت رسالة من بعض الأصدقاء ، جاء فيها أن بعض أبناء فلسطين الذين يقيمون في الضفة الغربية من الأردن ، قرروا اغتيال الملك عبد الله ، بعد أن كشفوا حقيقة موقفه خلال حرب فلسطين !

ومنذ تلقيت هذه الرسالة ، وأنا أتصور ما جاء بها وقد أصبح حقيقة .

وسلمني سفير الأردن ، برقية من مجلس الوصاية على العرش ، الذي تشكل عقب اغتيال الملك مباشرة ، وكانت البرقية تتضمن عرضا موجزا لقصة اغتيال الملك :

قالت البرقية : « ..... وبينما كان صاحب الجلالة ، يهم بدخول المسجد ، انهال عليه الرصاص ، من كل جانب ، فطارت عمامته ، ووقع على الأرض فاقد النطق ، وقد أجريت محاولات عديدة لإنقاذ حياته ، غير أنها باءت بالفشل ، وأسلم الفقيد الكبير ، روحه « الطاهرة » .

وما كدت أفرغ من قراءة البرقية ، حتى انحنى سفير الأردن ، وقال والنفاق يسبق كلامه :

– هل يأمرني مولاي ، صاحب الجلالة ، بأي خدمة ؟

قلت : لم أصبح بعد .... صاحب جلالة !

وانصرف السفير .

الفصل السادس عشر

فترة غامضة

يقول سكرتير الملك طلال الخاص : .

كثيرا ما حاولت أن أستوضح الملك طلال ، عن تفاصيل ما حدث خلال الفترة من إبلاغه نبأ اغتيال الملك ، إلى عودته إلى عمان لتسلم سلطاته الدستورية ، ولكنه كان يتهرب من الحديث حول تلك الفترة ، باستمرار !

وقد كنت حريصا على معرفة تفاصيل تلك الفترة ، لأتبين مدى صحة ما تردد عقب المناداة بالملك طلال ملكا على الأردن من أن بريطانيا كانت صاحبة الفضل الأول والأخير ، في تنصيبه على العرش ، وأنها قيدته بالتزامات متعددة نحوها ، مقابل ذلك !!

الفصل السابع عشر

الصدام الأول

يقول الملك طلال :

عدت إلى عمان .

واستقبلني الشعب ، استقبالا حماسيا حارا .

وبعد أيام تسلمت سلطاتي الدستورية .

وكان أول ما حرصت عليه ، هو : إجراء تغيير شامل بين رجال القصر ، فقد كنت أعلم عنهم الكثير ، وكنت أعلم تعاونهم الوثيق مع السفارة البريطانية .

وقررت تعيين عدد من أصدقائي الذين وقفوا إلى جانبي ، أيام محنتي في المناصب الهامة .

عينت محمد أبو سير ، مديرا للقصور الملكية .

وعينت صدقي القاسم ، محافظا للعاصمة .

وعينت إبراهيم جاموس ، مستشارا خاصا .

وأنعمت بالباشوية ، على الصديق السوري شفيق الحايك ، الذي قدم لي مساعدات مالية كثيرة خلال الفترة التي قطعت فيها مخصصاتي .

وبدأت أبحث عن العناصر الوطنية ، لتأخذ مكانها الطبيعي وتساهم مساهمة فعلية في حكم البلاد .

غير أني فوجئت ذات صباح ، بمكالمة تليفونية عاجلة ، من السفير البريطاني في عمان .

وجاء مدير التشريفات ، ليبلغني بهذه المكالمة .

ودهشت ، كيف يجرؤ السفير البريطاني على مخاطبة الملك رأسا بالتليفون ؟

وقال مدير التشريفات : لقد اعتاد السفير ذلك ، منذ عهد المغفور له والدكم !

ورفضت التحدث إلى السفير البريطاني بالتليفون ، وطلبت إلى مدير التشريفات أن يبلغه بالطرق المتبعة لمقابلة الملك !

وبعد دقائق ، جاء السفير إلى القصر ، وألح في مقابلتي على وجه السرعة .

وقابلت السفير .

ولم أخف دهشتي من طريقة المقابلة وقلت له على الفور :

– إنني أعتبر طريقة المقابلة ، غير لائقة !

وقال السفير :

– إن لدي تعليمات بمقابلة جلالتكم ، على وجه السرعة ، لمعرفة سر التغييرات الهامة التي حدثت بين رجال القصر ، وكبار موظفي الدولة .

قلت : من أصدر هذه التعليمات ؟

قال : حكومتي ، بالطبع !

قلت : إنني أرفض أن أوضح لك ، أي تفصيلات ، عن أي عمل أقوم به !

قال : إننا نتعاون معا ، يا صاحب الجلالة !

قلت : أريد تفسيرا لهذه الجملة !

قال : إن حكم الأردن ، أمر صعب للغاية .

ومن الضروري ، أن يستند حكام الأردن إلى دولة قوية ، تؤمن لهم حكمهم ، وتدعمه !

قلت : إنني لا أسمح لك بالاستمرار في الكلام .

وتركت السفير ، في غرفة المكتب ، وحده .

ثم أمرت مدير التشريفات ، بأن يطلب إليه مغادرة القصر .

وكان ذلك . أول صدام بيني ، وبين السفير البريطاني .

الفصل الثامن عشر

الصدام الثاني

انتشرت قصة الصدام الأول ، بيني وبين السفير البريطاني .

وعرفها كثير من المواطنين .

فجاءت مظاهرات عديدة إلى القصر ، لتأييد موقفي .

وزادني ذلك التأييد حماسا ، وتصميما على الاستمرار في السياسة التي قررتها .

وواصلت اتصالاتي بالعناصر الوطنية .

واصلت تعيين تلك العناصر ، في المناصب الهامة .

وازدادت ثورة السفير البريطاني .

وحاول مقابلتي أكثر من مرة فرفضت وأفهمته – عن طريق مدير التشريفات – بأنه يستطيع أن يبلغ ما يريد إبلاغه إلى رئيس الوزراء أو وزير الخارجية .

وزار السفير البريطاني رئيس الوزراء بالفعل وأبلغه استياءه الشديد من معاملتي له وطلب إلى رئيس الوزراء التوسط بينه وبيني .

ورفض رئيس الوزراء ، طلب السفير .

ولجأ السفير أخيرا إلى الجنرال جلوب رئيس أركان حرب الجيش .

كان جلوب على جانب كبير من الذكاء والدهاء ، فابتكر طريقة ليتم لقائي بالسفير .

ما هي هذه الطريقة ؟

جاءني ، ذات مساء ، واقترح علي زيارة وحدات الجيش فوافقت على الفور .

غير إنه قال لي أنه يجب التعرف على قادة الوحدات أولا .

واقترح أن يقيم مأدبة عشاء كبيرة لقادة الوحدات وأفاجئهم بحضوري إليها .

ووافقت على الفكرة .

وفي اليوم المحدد للمأدبة ، ذهبت إلى نادي الضباط ، حيث أقيمت ، ففوجئت بجلوب يجلس إلى جوار السفير البريطاني ، ومن حولهما . عدد من الضباط الذين عرفوا بصداقتهم الشديدة لجلوب .

ولم أصافح أيا منهم ، وغادرت نادي الضباط، على الفور ، فأسرع خلفي جلوب ليحاول أن يبرر خطأه ، وطلب إلي – في توسل – العودة إلى نادي الضباط ، لأن السفير البريطاني يرغب في أن ينقل إلي أنباء هامة .

ورفضت طلب جلوب .

وعدت إلى القصر .

الصدام الثالث

في اليوم التالي مباشرة ، استدعيت جلوب ، وقدمت إليه كشفا يتضمن أسماء 15 ضابطا ، وأبلغته أنني قررت إحالة هؤلاء الضباط إلى الاستيداع .

وثار جلوب .

وقال : إنني لا أستطيع الاستغناء عن هؤلاء الضباط .

وسألته : لماذا ؟

قال : لأنني أنفذ جميع تعليماتي من خلال هؤلاء الضباط !

قلت : لقد أصدرت قرارا ، ويجب تنفيذه على الفور !

قال : إنني أرجو إعادة النظر في القرار .

قلت : لقد صدر القرار ، وانتهى الأمر !

وغادر جلوب مكتبي ، وفي يده صورة القرار .

وبعد ثلاثة أيام ، قمت بزيارة مفاجئة لوحدات الجيش ، وتعمدت أن أذهب إلى الوحدات التي كان يعمل بها الضباط الذين قررت إحالتهم إلى الاستيداع .

ولم أصدق نفسي ، عندما رأيت هؤلاء الضباط ، يباشرون العمل .

واستدعيت جلوب على الفور ، وسألته أمام عدد كبير من الضباط والجنود :

– لماذا لم تنفذ القرار ؟

وفي وقاحة ، رد قائلا :

– لأنني لا أستطيع الاستغناء عن هؤلاء الضباط بالذات !

قلت : إن الأمر يجب أن ينفذ على الفور ، وفي حالة عدم تنفيذه فإنني سأضطر إلى تولي قيادة الجيش بنفسي ، ويومها سيزيد عدد الضباط المحالين إلى الاستيداع واحدا ، هو : رئيس أركان حرب الجيش !

قال : إنني لا أقبل هذا الكلام ، وأنا على استعداد لتقديم استقالتي على الفور !

قلت : وأنا سأوافق على قبول الاستقالة بمجرد تقديمها .

واستقل جلوب سيارته ، وانصرف .

وبعد دقائق ، جاءني عدد كبير من الضباط البريطانيين الذين يعملون في الجيش الأردني للتوسط بيني وبين جلوب .

ثم قالوا : إنهم يتعهدون بإحضاره إلى القصر لتقديم اعتذار رسمي .

وقبل أن ينتهي الضباط البريطانيون من حديثهم معي ، فوجئت بحضور جلوب وابتسم في خبث ، ثم قال هل يسمح لي صاحب الجلالة بالاعتذار ؟

ثم قال : سينفذ القرار الملكي ، قبل أن تغادرنا جلالتك .

ولم أرد ، وغادرت الوحدة التي كنت أزورها .

الفصل التاسع عشر

المشكلة الكبرى

كنت أريد أن أحقق الكثير .

كنت أريد أن أطمس الملامح التي خلفها الاستعمار في بلدنا .

كنت أريد الاستغناء عن جميع البريطانيين الذين يعملون في الجيش والوزارات والشركات .

كنت أريد أن أطالب بإجلاء القوات البريطانية .

كنت أريد أن أعهد بجميع شئون الحكم ، إلى العناصر الوطنية المتحررة .

ولكني ، كنت أصطدم ، كل يوم ، بعقبات جديدة .

اكتشفت أن عملاء بريطانيا ، منتشرون في كل مكان ، في الجيش ، وفي الوزارات وفي الشركات .

واكتشفت أن معظم السياسيين ، عملاء لبريطانيا .

واكتشفت أن جميع أسرار الدولة ، تبلغ أولا بأول إلى المخابرات البريطانية وباختصار ، تأكدت لي الحقيقة الضخمة ، تأكد لي أن الأردن تحكم من السفارة البريطانية .

وبدأت بالتعاون مع أصدقائي ، في وضع خطة التخلص من كل ذلك ، خطوة خطوة .

ووضعنا الخطة ، بالفعل .

وبدأنا في تنفيذها .

كان التنفيذ يتم في بطء شديد ، ولكننا كنا نحقق مكاسب باستمرار .

وفجأة .

برزت لي مشكلة كبيرة ، كانت الأهداف الضخمة التي صادفتني ، قد أبعدتني عنها .

مشكلة كبيرة ، لم أكن أتوقعها ، مشكلة كنت قد أسقطتها من حسابي ، مشكلة زين !

إن زين لا تستطيع أن تكون مجرد سيدة عادية .

إنها ترفض أن تعيش حياة طبيعية .

إنها تفتعل المشاكل ، لتعيش فيها !

وتصطنع الغضب ، لتبعد من تكره من الناس !

وتنسج الأكاذيب والأوهام ، لتستدر العطف عليها !

وتخلق جو الريبة والشك ، لترهق أعصابي باستمرار !

وقد كنت أعتقد أن اختفاء الملك عبد الله من حياتها سيضع حدا لاتصالاتها وأحاديثها مع السفير البريطاني .

ولكن .

حدث العكس تماما !

لقد جاءني – في وقت واحد – أكثر من عشرين صديقا ، لينقلوا إلي صورا من تصرفات الملكة !

قال لي أحد الوزراء ، وكان على ما أذكر ، وزير الاقتصاد :

إن زين استدعته ، بصفة عاجلة ، فذهب على الفور ، وهناك عرف أن سبب الاستدعاء هو : أن الملكة زين ترغب في منح أحد التجار حق استيراد الأقمشة الصوفية ، من بريطانيا !

ولما أفهمها الوزير ، بأن من حق التاجر استيراد القماش في أي وقت .

قالت : أريد أن يصبح لهذا التاجر – وحده – حق استيراد القماش !

وقال الوزير : إن هذا مبدأ غير معمول به على الإطلاق ، في الأردن !

فقالت الملكة : إن من حقي أن أضع من المبادئ ، والقوانين ، ما يناسبني ! !

ورد الوزير : نعم ، ولكن ، على أن يكون لها طابع عام !

وثارت الملكة .

وطردت الوزير ، من القصر !

الإفراج عن المجرمين

وجاءني وزير الداخلية ، ذات يوم ، وقال لي وهو يبتسم .

– لقد نفذنا أوامر جلالتكم !

فسألته في استغراب :

- أي أوامر ؟

قال : الأوامر التي أبلغتها لي جلالة الملكة !

قلت : أنا لم أطلب من الملكة ، إبلاغك بأي أوامر ! وليس من عادتي ، أن أبلغ الأوامر ، عن طريق الملكة !

وتغيرت ملامح الوزير ، ثم قال لي :

- هل يسمح لي جلالة الملك ، بالانصراف ؟

قلت في استغراب : إلي أين ؟

قال : يجب إعادة القبض على جميع من أفرج عنهم !

قلت : ما هو الأمر الذي أبلغته إليك الملكة ؟

قال : لقد طلبت إلي الملكة الإفراج فورا عن ثلاثة حكم على أحدهم بالسجن لمدة 15 عاما ، والآخرين بالسجن لمدة 7 سنوات !

وأسرع الوزير نحو الباب .

ودعوة سفير

وفي يوم آخر ، سألني مدير التشريفات بالقصر :

- متى ستشرف جلالتك حفل العشاء ؟

قلت : أي عشاء ؟

قال : الحفلة التي ستقام الليلة .

قلت : من سيقيمها ؟

قال : لقد أبلغتنا جلالة الملكة ، أن السفير البريطاني ، وقرينته ، مدعوان إلى العشاء في القصر الليلة ! وقد استنتجنا أن جلالتك ، ستشرف الحفل !

قلت : لن أحضر هذا الحفل !

ثم أمرته بالاتصال بالسفارة البريطانية ، وإلغاء حفل العشاء !

وفي اليوم التالي ، جاءني مدير التشريفات ، وأبلغني أن الملكة زين ، تأثرت عندما علمت بنبأ إلغاء حفل العشاء ، وذهبت إلى السفارة البريطانية ، حيث تناولت العشاء هناك ، مع السفير وقرينته !

وإخلاء المنازل

وفي اليوم نفسه ، جاءتني إحدى سيدات الأسرة ، وكانت تملك قصرا صغيرا في عمان . وأبلغتني أنها تلقت أمرا من الملكة

زين بإخلاء القصر ، والانتقال إلى منزل آخر ، لأنها ترغب في تخصيص القصر ، لاستقبال صديقاتها !

وبكت السيدة العجوز ، وقالت لي :

– هل يرضيك هذا التصرف ؟

قلت : طبعا ، لا !

وأمرتها بعدم مغادرة قصرها ، مهما جاءها من أوامر !

وفي اليوم نفسه ، أيضا ، علمت أن الملكة زين ، أمرت شقيقها ناصر بإخلاء منزل آخر يجاور منزل وزير الخارجية ، بالقوة لتقيم به صالونا لاستقبال مدعويها وزوارها !

ونفذ ناصر الأمر .

واستعان بعدد كبير من رجال الشرطة لمساعدته !

ثم علمت أيضا ، في نفس اليوم ، أن زين شاهدت مبنى جديدا ، لم يؤجر بعد ، فأمرت صاحبه بعدم عرضه للإيجار ، ثم أمرت شقيقها بتخصيصه لإقامة الحلاق اليوناني الذي أحضرته من بيروت ، خصيصا ، لتصفيف شعرها !

وسرقة السيارات

وروى لي أحد الأصدقاء ، أن الملكة زين ذهبت إلى توكيل

سيارات « بويك » واختارت إحدى السيارات ، ثم أمرت بإرسالها إلى القصر !

ونفذ صاحب توكيل السيارات أمر الملكة .

وأرسل السيارة ، ومعها الفاتورة !

وثارت الملكة زين ، كيف يجرؤ صاحب التوكيل ، على إرسال فاتورة لها !

وأعادت الفاتورة إلى صاحب التوكيل مع شقيقها ناصر ، الذي هدد صاحب التوكيل ، بغلق توكيله إذا لم يقدم اعتذارا كافيا عن الإهانة التي وجهها للملكة !

ودهش التاجر ، وسأله :

– ما هي الإهانة التي تتحدث عنها ؟

فرد ناصر :

– إهانة إرسال فاتورة بثمن السيارة !

وذعر التاجر ، وقال لناصر :

– أنا مستعد لتنفيذ أي أمر !

فطلب ناصر من التاجر ، إهداءه سيارة مماثلة لسيارة الملكة زين .

واستجاب التاجر ، لهذه الرغبة على الفور .

استدعاء الملكة

لم أستطع أن أقف مكتوف الأيدي ، أمام هذه التصرفات .

لم أستطع أن أتغاضى عن الإساءة إلى سمعتي ، بالصورة التي أقدمت عليها زين .

وقررت استدعاءها ، لوضع حد لتصرفاتها .

وفي مكتبي بالقصر ، جاءت الملكة زين ، ومعها حسين !

وأمرت حسين ، بالعودة إلى غرفته .

ولكن زين ، تمسكت ببقائه معنا !

وصحت في وجهها : ليس من حقك ، أن تفرضي علي أمرا !

وخرج حسين من غرفة المكتب .

ووقفت زين ، وسألتني في اضطراب :

– ماذا تريد ؟

وواجهتها بجميع تصرفاتها ، التي وصلتني !

وفي برود ، أجابت :

– نعم ، جميع هذه التصرفات صحيحة !

وصحت قائلا : كيف تجرئين على الإقدام على مثل هذه التصرفات ؟

قالت : أنا حرة !

قلت : أي نوع من الرجال ، تتصورينني ؟

قالت : ليس من حقك ، أن تفرض علي حياة البؤس ، والشقاء ، والحرمان ، مدى الدهر !

قلت : وليس من حقك أن تسيئي إلى سمعتي !

ومرة ثانية ، سمعت منها جملة ، أنا حرة !

ولم أتمالك أعصابي ، فهويت بيدي على خدها !

وصرخت زين صرخات متتالية ، ثم أسرعت نحو الباب ، وغادرت القصر .

اختفاء الملكة

في مساء اليوم نفسه ، جاءني حسين وأبلغني اختفاء زين من القصر !

قلت له : أين ذهبت ؟

قال : لقد أبلغتني أنك اعتديت عليها بالضرب المبرح ، وحاولت إطلاق الرصاص عليها !

وسألته : هل تصدق ذلك ؟

ورد حسين : نعم ، إن والدتي تبلغنا باستمرار أن أعصابك « تلفانة » !

وعجبت ، كيف تصورني زين لأولادي ، بأني لا أستطيع التحكم في أعصابي !

وزادت ثورتي عليها .

وقررت بيني وبين نفسي أن أطلقها .

ولكن ، أين هي ؟

وعرض علي حسين أن يبدأ بمعاونة بعض رجال القصر في البحث عن الملكة !

ووافقت على الفكرة .

وذهب حسين يبحث عن أمه ، ومعه موظفان من القصر ، وثلاثة من رجال الشرطة .

وفي منتصف الليل جاءني حسين ، وأبلغني أنه « فتش » عن زين ، في جميع المنازل التي تتردد عليها ، ولم يجدها !

ومضى الليل دون أن تعود زين إلى القصر .

واستمر حسين في البحث عن أمه ، دون جدوى !

ومضى أسبوع كامل ، دون أن تعود إلى القصر !

وفي اليوم الثامن ، اتصلت زين بحسين من بيروت ، وأبلغته أنها سافرت للاستجمام ، وأنها تنوي البقاء عدة أيام .

وحاول حسين إقناعها بالعودة إلى عمان ، مباشرة ، فلم يستطع .

وأخيرا ، سافر إلى بيروت لإحضار أمه ! ولكنها رفضت العودة معه ! وعاد إلى عمان ، وحده !

الفصل العشرون

بداية المؤامرة

بعد أسبوعين ، عادت الملكة إلى عمان .

ولكنها لم تحضر إلى القصر ، ذهبت إلى منزل شقيقها ناصر !

ومن هناك ، اتصلت بحسين ، وأبلغته أنها لن تعود إلى القصر ، لأنها تخشى على حياتها !

ولست أدري ، كيف أقنعت حسين بأنني سوف أقتلها في حالة عودتها إلى القصر !؟ فقد جاءني ذات يوم ، وأبلغني أنه يوافق على بقاء أمه في منزل شقيقها !

وفي مساء نفس اليوم ، اتصل بي حسين من منزل ناصر ، وأبلغني أنه سيبقى عدة أيام مع والدته !

ولم أمانع .

وبعد ثلاثة أيام . جاءني أكثر من صديق ، وأبلغني أن الملكة زين تجتمع يوميا بالسفير البريطاني ، في منزل شقيقها ، وأكدوا أنهم يشاهدون سيارة السفير البريطاني ، أمام منزل ناصر كل مساء !

وقالوا أيضا : إن الملكة زين تتآمر لإقصائي عن العرش ، وإنها طلبت إلى بريطانيا رسميا ، مساعدتها في ذلك ، وتعيين حسين ملكا على الأردن !

وقالوا أيضا : إن زين وشقيقها والسفير البريطاني ، يعقدون اجتماعات مستمرة مع الوزراء والنواب ، للتشاور حول احتمالات الموقف في حالة إقصائي !

وقالوا أيضا : إن السفير البريطاني ، قدم ألفي دينار لكل نائب كرشوة ، مقابل الموافقة على إقصائي عن العرش !

ولم أصدق كل هذا الكلام ، رغم ثقتي الكاملة ، بجميع من نقلوه إلي .

وقررت التأكد بنفسي . فصحبت عددا من أصدقائي وذهبنا إلى منزل ناصر .

وكانت مفاجأة ، عندما رأيت سيارة السفير البريطاني تقف أمام المنزل !

وأسرعت إلى داخل المنزل ، وسألت عن زين ، فقال لي الخدم ، إنها في الصالون .

ودخلت إلى الصالون ، فوجدتها تجلس وحدها على أريكة كبيرة ، في وسط الغرفة ، وعن يمينها يجلس السفير البريطاني وشقيقها ناصر ، وعن يسارها يجلس وزير الزراعة ، ووزير الأشغال ، وثلاثة من النواب .

وذعر الجميع ، عندما وجدوني أمامهم !

وهبوا جميعا واقفين .

ومرت فترة صمت قصيرة . لم يتكلم خلالها ، أي منهم .

ثم اتجه السفير البريطاني نحوي ، وقال :

– هل يسمح لي صاحب الجلالة ، بالانصراف ؟

ولم أجب ، فغادر الحجرة على الفور .

ثم تقدم وزيرا الزراعة والأشغال ، وقالا لي :

– إننا مضطران إلى الانصراف ، لأن موعد اجتماع مجلس الوزراء ، قد حان منذ ساعة تقريبا !

قلت لهما : ماذا تفعلان هنا ؟

قال وزير الأشغال : لقد استدعتنا جلالة الملكة . للتشاور حول الحالة في البلاد !

وقال وزير الزراعة : لم نعلم بأن السفير البريطاني سيشهد اجتماعنا بجلالة الملكة . إلا بعد حضورنا إلى منزل الشريف ناصر !

وانصرف الوزيران .

ويبدو أن النواب الثلاثة ، شعروا بحرج موقفهم ، فتقدم أحدهم ، وقال :

– لقد جئنا لتناول الشاي ، بدعوة من الشريف ناصر .

ثم قال نائب آخر :

– وقد تفضل الشريف ناصر ، بتقديمنا إلى جلالة الملكة !

وانسحب النواب الثلاثة .

وبقيت زين ، وشقيقها ، معي في حجرة الصالون .

أم الملك

جلست على أول مقعد صادفني ، ونظرت إلى زين ، وهي تقف أمامي ، وكأنها قد جردت من جميع ملابسها وابتسمت .

وفهمت زين معنى ابتسامتي ، وارتبكت ، ثم أرادت أن تخفي إرتباكها فقالت :

– لقد كنت أنوي العودة إلى القصر ، هذه الليلة !

قلت ساخرا : كيف تعودين إلى القصر ، إنك لا تستطيعين العيش . إلا في جو قذر !

ولم ترد زين .

ولكن شقيقها ناصر ، قال على الفور :

– إن منزلي ليس قذرا !

وقلت موجها الكلام لزين :

– ما معنى وجودك مع السفير البريطاني الليلة ؟ ما معنى اجتماعاتك اليومية به ؟ ثم .... ما معنى استدعائك للوزراء ، والنواب ؟

قالت : إنها اجتماعات عادية للتشاور !

قلت : ما هي الصفة التي تخول لك عقد مثل هذه الاجتماعات ؟

قالت : إنني الملكة !

قلت : وإذا قلت لك الآن ، أنت طالق ، ماذا تكون صفتك ؟

قالت : أم الملك !

ويبدو أنها شعرت بتسرعها في الإجابة ، فقد استدركت على الفور قائلة :

– أقصد أم ولي العهد !

وتبادلت مع شقيقها ناصر ، نظرات ذات مغزى .

وقررت تجاهل العبارة التي فضحت اتجاهاتها ، واتصالاتها ، وقلت لها :

– ما هي الموضوعات التي تتشاورين حولها مع الوزراء والنواب ؟

قالت : إن الوزراء والنواب ، غير مرتاحين لهذا العهد ! واجتماعاتي بهم هدفها الوحيد ، تهدئتهم !

قلت : من كلفك بذلك ؟

قالت : ليس ضروريا أن أنتظر إلى أن تكلفني بإنقاذ عرشك !

قلت : أنا أرفض أن تكوني سببا في إنقاذ العرش !

ثم قلت لشقيقها ناصر :

أرجو أن تدرس مع شقيقتك إجراءات الطلاق !

وغادرت المنزل .

الملكة تبكي

عدت إلى القصر ، في منتصف الليل ، لأجد زين وشقيقها في انتظاري .

وتجاهلت وجودهما ، وذهبت إلى حجرتي الخاصة على الفور .

غير أن زين ، لحقت بي .

وقالت في توسل :

– أرجوك ، لا داعي لاتخاذ الإجراءات العنيفة !

وقلت على الفور : لقد فشلت في إصلاحك !

وبكت زين ، بكت طويلا ، وسمع شقيقها صوت البكاء .

فجاء يقول :

– إن زين لا تهدف إلا صالحك !

ثم قال بعد صمت قصير :

– إن زين تتعهد بعدم العودة إلى أي خطأ ، من الأخطاء السابقة .

ثم تركنا وانصرف .

واستمرت زين في البكاء .

ثم قالت : أستحلفك بالله ، وأولادك أن تغفر لي .

ولم أجد مناصا من أن أطلب إليها أن تكف عن البكاء ، فأنا أكره البكاء .

مضى بعد ذلك ، أسبوع كامل ، لم أرها ، ولم أتحدث إليها ، وإن كنت أعلم أنها موجودة بالقصر ، ولم تغادره !

وخلال ذلك الأسبوع ، جاءني ناصر أكثر من مرة ، ليسأل هل عادت العلاقات الطبيعية ، بيني وبين زين ؟

وخلال ذلك الأسبوع ، أيضا ، جاءني الجنرال جلوب ، وقال إن السفير البريطاني يريد أن يوضح لي موقفه من الإشاعات التي ترددت حوله .

وخلال ذلك الأسبوع ، استمعت إلى أكثر من مائة إشاعة ، تؤكد أن بريطانيا قررت إقصائي عن العرش !

الفصل الحادي والعشرون

تنفيذ المؤامرة

مرت بي فترة من اليأس ، والقلق ، لم أشهد مثلها في حياتي !

لقد كرهت زوجتي ، إلى أقصى حدود الكراهية !

وتغيرت نظرتي إلى ابني الأكبر ، حسين !

وبعدت عن أصدقائي .

وكثر عدد الأعداء المحيطين بي .

وأصبحت كالآلة الفاسدة ، التي لا تؤدي أي عمل على الإطلاق .

ومرضت .

وجاءني أكثر من طبيب ، ولكني لم أشعر بالراحة في علاج أي منهم .

وثارت أعصابي .

وتغيرت نظرتي لكثير من الأمور .

وفسرت نظرات زين لي ، بأنها نظرات الشماتة !

وفسرت زيارات شقيقها ناصر بأنها زيارات للتحدي !

وفسرت عدم شفائي ، بأن الأطباء يعملون على أن تطول فترة مرضي !

واستدعيت رئيس الوزراء .

وجاءت زين تقول لي : إن رئيس الوزراء اتصل بها وأبلغها أنه لن يحضر !

وسألتها : لماذا ؟

فقالت : إن رئيس الوزراء يخشى على حياته ، لقد قيل له إنك قررت إطلاق الرصاص عليه !

ولم أصدق الملكة .

تركت فراشي ، واتجهت إلى التليفون للاتصال برئيس الوزراء .

غير أني لم أقوَ على السير .

ووقعت على الأرض !

وفقدت وعيي تماما .

ولا أدري كم استمرت هذه الحالة .

كل ما أتذكره ، أنني فوجئت ذات يوم ، بشقيق الملكة زين يقف أمام سريري ويقول في تحد ظاهر :

– لقد وافق البرلمان ، على سفرك للعلاج !

قلت له : أي علاج ؟

قال بنفس التحدي : إن حالتك الصحية خطيرة .

ثم تركني وانصرف .

وجاءني صديقي إبراهيم جاموس .

وسألته :

– هل تعرف شيئا عن حالتي الصحية ؟

ولم يتكلم .

وأعدت عليه نفس السؤال .

ولم يتكلم .

وصحت في وجهه : إيه الحكاية ؟

ودمعت عينا إبراهيم جاموس !

ذعرت ، تصورت أنني قد أصبت بغدد خبيثة .

ولم تهدأ دموع إبراهيم جاموس .

وفزعت ، وجلست في سريري بصعوبة ، ثم جعلت أردد ، وأنا أهز إبراهيم جاموس بكلتا يدي :

– إيه الحكاية ، إيه الحكاية ؟

وفي صعوبة ، وبكلمات متقطعة ، قال :

– نجحت المؤامرة ، أبعدوك عن العرش !

وقبل أن يكمل كلامه ، كان ناصر قد سحبه من يده !

وهكذا ، علمت بنبأ إقصائي عن العرش !

الفصل الثاني والعشرون

سجن إستانبول

ما أصعب حديث الذكريات !

إنني كلما تذكرت ما مر بي ، أشعر بدوار شديد ، يهز جسمي في قسوة ، ويصل إلى أعماقي !

إن شفتي ترتجفان ، وأحس بصدى ارتجافهما !

ويداي ترتجفان ، ولا تقويان على حمل ورقة صغيرة !

وعيناي ، إنني لا أقوى على تركيز نظراتهما !

وأحاول أن أستعيد حالتي الطبيعية ، ولكني أفشل .

وتمر ساعات طويلة . وأحيانا أيام ، والذكريات مازالت عالقة بذهني .

وأستدعي سكرتيري الخاص ، لأملي عليه فصلا من مذكراتي لتهدأ حالتي .

ولكن ، ذهني يبقى شاردا .

وأطلب إليه أن يتركني وحدي .

ويجيبني السكرتير إلى طلبي .

ويغلق علي باب الحجرة ، وأستسلم للبكاء .

والبكاء ، هو راحتي ، كلما أحسست برغبتي في الراحة أبكي ، وكلما طالت مدة بكائي ، طالت مدة راحتي !

وأحس سكرتيري ، بما أعانيه من ضيق ، فذهب إلى والي إستانبول ، وحصل منه على تصريح دائم بالسماح لي بمغادرة المستشفى ، كل صباح ، للنزهة .

وبدأت أخرج كل صباح .

وبعد ثلاثة أو أربعة أيام ، لا أتذكر ، قلت لسكرتيري :
إنني لا أرغب في الخروج للنزهة ، أو غير النزهة ، فقد كنت أشعر باختناق أنفاسي ، كلما تذكرت أنه قد حكم علي بأن أصبح سجين إستانبول إلى الأبد !

وعدت إلى وحدتي .

* * *

ويتحدث سكرتير الملك طلال ، عن تلك الفترة فيقول :

– ساءت صحة الملك ، وأصيب بمجموعة من الأمراض ، في وقت واحد ، وأصبح يمتنع عن تناول معظم وجبات الطعام التي تقدم إليه ، وأطلق لحيته وامتنع عن تعاطي الحقن والفيتامينات .

وخلال شهرين نقص وزنه إلى 48 كيلو جرام بعد أن كان 65 كيلو جرام !

وأصبح يدخن السجائر بشراهة ، كان يدخن في اليوم الواحد مائة سيجارة ، وأحيانا أكثر .

وكنت أضطر إلى أن أقدم إليه ، باستمرار ، كميات

ضخمة من السجائر ، لأنه كان يتألم ، إذا امتنعت عن إحضار السجائر إليه .

ولم أطق البقاء إلى جواره في المستشفى ، فقد كنت أعيش في نفس آلامه وأحزانه ، واستأذنته ذات يوم في السكن خارج المستشفى ، فوافق .

واستأجرت منزلا صغيرا بجوار المستشفى .

وذات يوم ، اتصل بي والي إستانبول وقال لي :

– إن الملكة زين في إستانبول ، وهي ترغب في الاجتماع بك على الفور !

وذهبت إلى الملكة ، وأنا لا أدري سبب حضورها المفاجىء ، ولا سبب استدعائها لي .

كانت الملكة تقيم في الجناح الذي اعتادت أن تقيم به ، في فندق هيلتون .

وعندما دخلت إلى جناحها ، كانت تجلس وإلى جوارها طبيبها الخاص !

وقبل أن أصافحها قالت لي :

– لقد أمرت بتجريدك من رتبتك العسكرية !

وذهلت .

وسألتها : لماذا ؟

قالت على الفور : إنك متآمر ، لقد جاءتني أنباء تؤكد أنك تعاون طلال في رسم خطة للعودة إلى عمان !

قلت لها : إن من حقه أن يعود إلى عمان !

قالت : أنت قليل الأدب !

ولم أتمالك أعصابي ، وقلت لها : أنا لا أسمح لك بتوجيه أية إهانة لي ، وأنا أنذرك بأنني سأرد على الإهانة بالإهانة !

وغيرت الملكة من لهجتها ثم قالت لي :

- إنني أعتبرك، أحد رجالنا المخلصين ! وقد ساءني أن أعلم أنك تتآمر علينا وتتصل دوما بالسفارة المصرية وغيرها من السفارات العربية ، وتطلب مساعداتها لإنقاذ طلال .

قلت لها : هل أصبح إنقاذ الملك طلال جريمة ؟

قالت : ليس هذا من شأنك !

قلت : إن ضميري لا يسمح لي باستمرار هذه المهزلة !

قالت : أنا لا أثق في أن صحة طلال قد أصبحت على ما يرام وأريد أن أزوره لأعرف هل يستطيع العودة إلى عمان أم لا .

قلت : وأنا على استعداد للتمهيد لهذه الزيارة فورا .

قالت : غدا نلتقي في الساعة العاشرة صباحا ، هنا ، لنذهب سويا إلى طلال .

ووافقت .

وعدت مسرعا إلى الملك طلال لأبلغه أن الملكة وافقت على إعادته إلى عمان ، غير أنني فوجئت به يرفض مقابلة الملكة !

وظللت ثلاث ساعات كاملة ، أحاول إقناعه بمقابلتها إلى أن وافق في النهاية .

الفصل الثالث والعشرون

هدايا الملكة

عندما جاءتني زين ، وفقا لاتفاقها مع سكرتيري ، كانت معها عمتها الأميرة فاطمة ، وحشد من المرافقين ، ورجال الحرس وقالت لي ، وهي ترسم على شفتيها ابتسامة مصطنعة :

- لقد جئتك ببعض الهدايا .

ثم نادت على أحد مرافقيها ، وأمرته بأن يضع لفافة كبيرة كان يحملها إلى جواري .

وسألتها : ما سبب زيارتك المفاجئة لإستانبول ؟

قالت : إنني في طريقي إلى لندن للعلاج !

قلت : ومتى تسمحين بالإفراج عني !

قالت : متى تحسنت صحتك !

قلت : هل شكوت لك من صحتي ؟

قالت : الأطباء يؤكدون أن صحتك سيئة جدا !

قلت : لمعلوماتك الخاصة ، لم يفحصني أي طبيب منذ أكثر من ستة أشهر !

وتصنعت زين الدهشة . ثم هبت واقفة ، وقالت وهي تتجه نحو الباب !

- إزاي .... إزاي ... وين الدكتور ؟

وخرجت زين من غرفتي وخلفها الأميرة فاطمة والحاشية ولم تعد .

لقد خشيت أن أستمر في إحراجها وتضييق الخناق عليها فانتهزت أول فرصة مناسبة لتغادر المستشفى !

ونظرت إلى ساعتي ، لأعرف الوقت الذي استغرقته زيارة زين لي ، لقد استغرقت الزيارة ست دقائق !

ونظر إلي سكرتيري ، ثم قال :

– آسف .... آسف جدا . كان يجب ألا تتم هذه الزيارة !

ثم قال : هل يسمح لي صاحب الجلالة بفتح هذه اللفافة ، إنه مجرد إجراء للأمن ، لأني أخشى أن يكون قد دس شيء بينها !

وفتح السكرتير اللفافة ليجد فيها جلبابين للنوم ، وثلاثة أطقم من الملابس الداخلية ، وعلبة حلوى رخيصة !

واشمأزت نفسي من منظر الهدية ، فقمت محاولا القذف بها من الشباك ، غير أن السكرتير أمسكها من يدي وقال :

– إن جلالتك في أشد الحاجة إلى الملابس الداخلية ، فقد أبلغتني إدارة المستشفى أن ملابسك الداخلية مهلهلة !

مباحثات في إستانبول

ويقول الملك طلال :

تمت زيارة زين لإستانبول في أوائل عام 1956 .

وكانت تركيا في ذلك الوقت تلعب الدور الرئيسي في حلف بغداد ، باعتبارها أهم قاعدة عسكرية في الشرق الأوسط ، من وجهة نظر الغرب .

وكانت تركيا بحكم الظروف التي وضعها فيها الغرب ، وبحكم علاقة حكامها الوثيقة بالحكومات الغربية تتولى قيادة الدعوة لحلف بغداد والدعاية له في سائر دول المنطقة .

وقد اكتشفت بعد فترة قصيرة من زيارة الملكة زين لي ، أن الزيارة لم تكن عارضة ، بسبب سفرها إلى لندن ، بل إنها كانت زيارة متعمدة !

لقد جاءت زين إلى إستانبول بدعوة من عدنان مندريس رئيس الوزراء ، شخصيا .

وكان السبب الرئيسي لهذه الدعوة ، هو التباحث معها حول انضمام الأردن إلى حلف بغداد .

وبعد وصولها إلى إستانبول بـ 24 ساعة لحق بها حسين .

واجتمع الاثنان بعدنان مندريس رئيس وزراء تركيا ، وبرهان الدين باش أعيان وزير خارجية العراق ، عدة مرات ، في قصر يملكه أحد أقارب عدنان مندريس بإحدى ضواحي إستانبول .

وأحيطت تلك الاجتماعات بسرية تامة .

وفي تلك الاجتماعات ، أعلنت زين وحسين موافقتهما على الانضمام إلى حلف بغداد ، ولكنهما طلبا مهلة لمدة شهر واحد حتى يمكنهما تهيئة الرأي العام الأردني ، لتقبل النبأ .

واتفق الاثنان ، زين وحسين ، على أن يكون الشريف ناصر حلقة الاتصال بين عمان وأنقرة .

وقال لي المواطن الأردني ، الذي دفع خمسة آلاف ليرة تركية إلى مدير المستشفى الذي أقيم به ، ليسمح له بمقابلتي ، وروى أسرار هذه الاتصالات لي :

– إننا نطلب مساعدتك !

وسألته : في استغراب : أي نوع من المساعدة تطلبه ؟

قال : إننا نطلب تأييدنا في رفض الانضمام إلى حلف بغداد !

قلت : ماذا يفيدكم تأييدي ؟

قال : إنه قوة معنوية كبرى .

وقدم لي المواطن الأردني ، ورقة وقلما ، ثم طلب إلي أن أوجه رسالة إلى الشعب الأردني ، أحذره فيها من الانضمام إلى حلف بغداد .

ونفذت الرغبة .

وكتبت رسالة طويلة ، وسلمتها للمواطن ، وانصرف لفوره .

ولا أدري – حتى الآن – ماذا حدث لهذه الرسالة ؟ هل نشرت ؟ هل أذيعت ؟ هل وقعت في أيدي حسين وأمه ، ومنع توصيلها إلى الشعب ؟

كل ما عرفته ، فيما بعد ، أن زين وحسين ، حاولا تشكيل حكومة تقبل مجابهة الشعب ، عندما يعلنان نبأ انضمام الأردن إلى حلف بغداد ، وشكلت بالفعل حكومة برئاسة هزاع المجالي ! غير أن الحكومة لم تستطع مجابهة الشعب الثائر ، فقدمت استقالتها بعد 24 ساعة من تشكيلها !

واضطرت زين وحسين ، إلى إرجاء إعلان انضمام الأردن إلى حلف بغداد .

الفصل الرابع والعشرون

ملابس المجانين

مرت ، بعد ذلك ، فترة تزيد عن شهر ، دون أن تصلني أخبار من الأردن .

فقد سافر سكرتيري ، إلى لبنان في إجازته السنوية .

وشددت إدارة المستشفى الحراسة على غرفتي ، لتحول بيني وبين الاتصال بأي إنسان .

وخلال ذلك الشهر ، وقع لي حادث تألمت له كثيرا .

فقد فوجئت ذات يوم بعدد من الممرضين يقتحمون غرفتي !

وسألت : ماذا حدث ؟

ولم يجب أي منهم على سؤالي .

واقتربوا مني .

ثم بدأوا يخلعون عني ملابسي !

وثرت في وجههم ، وصحت محاولا منعهم من الاستمرار فيما يقومون به ، غير أنهم لم يعبأوا بصياحي واستمروا يخلعون عني ملابسي !

وبعد أن نزعوا ملابسي تماما ، ألبسوني ملابس مرضى الأمراض العقلية ، ثم غادروا الغرفة ، بعد أن أحكموا غلق بابها .

ولم أستطع أن أشكو ... فقد كان الطبيب يرفض مقابلتي أو الاستماع إلى طلباتي ! وكان الممرض الذي يحضر لي الطعام ، لا يملك إبدال ملابسي !

وظللت بهذه الملابس ، إلى أن عاد سكرتيري من إجازته وشكا إلى والي إستانبول من تصرفات المستشفى معي ، فأمر الوالي بإبدال ملابسي على الفور .

برقية إلى بغداد

وبعودة سكرتيري ، من إجازته ، عادت صلتي بالأخبار .

وقال لي سكرتيري ، ذات يوم ، إن الأمير عبد الإله ، ولي عهد العراق ، سيزور إستانبول ، بعد أسبوع ، واقترح أن أطلب مقابلته ، ليساعدني في العودة إلى عمان ، أو يعمل على نقلي إلى أي عاصمة عربية أخرى .

واقتنعت بالفكرة .

وأرسلت برقية إلى الأمير عبد الإله أطلب فيها مقابلته خلال فترة وجوده في إستانبول .

وجاءني الرد في اليوم التالي مباشرة فقد زارني سفير العراق في أنقرة ، ونقل إلي موافقة الأمير عبد الإله على زيارتي خلال فترة وجوده في إستانبول ، ولكنه قال : إن موعد وصول الأمير لم يحدد حتى الآن !

ومضت تسعة أيام ، دون أن يصل الأمير عبد الإله !

وفي صباح اليوم العاشر ، أبلغني أن السفير العراقي اتصل به تليفونيا وطلب إليه إبلاغي بأن الأمير عبد الإله سيصل في المساء ، وأنه سيزورني في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي .

وبدأ القلق يسيطر علي .

وفجأة ، جاءني سكرتيري ، وقد تهلل وجهه وهو يقول : عبدالإله أستفسر فيها عما تم في موضوعي .

ولم يصل الرد في اليوم التالي ، كما حدث عندما أرسلت له البرقية الأولى ! .

وجاءت الساعة المحددة ووصل الأمير عبد الإله .

وعانقني الأمير عبد الإله وهو يبكي ويتمتم :

– أعلم أنك عذبت ، أعلم جيدا !

قلت له على الفور :

– إن أمر إنقاذي ، في يدك !

ولم يجب الأمير عبد الإله ، ولكنه طلب بعد برهة ، أن أروي له تفاصيل المعاملة التي ألقاها في المستشفى .

وأمضيت 4 ساعات أروي له ما يحدث لي .

وكان يستمع لي وهو يبكي .

ثم قال لي ، وهو يستعد لمغادرة غرفتي :

– سأقابل الملكة زين ، وحسين ، وأطلب إليهما نقلك إلى عمان على الفور فإذا رفضا ذلك ، فسوف تنقل إلى بغداد في خلال الأسبوع القادم وستقيم في قصري الخاص .

ثم ودعني ، بالعناق والقبلات !

وبرقية أخرى

تأثرت إلى أقصى حد بمقابلة الأمير عبد الإله الودية لي .

وخيل لي أن هذه المقابلة ، سيكون لها نتائج حتما .

وجلست أنتظر ، وصول رسالة من الأمير عبد الإله ، تحمل النبأ السار ، نبأ عودتي إلى عمان !

ومضى أسبوع ولم تصل أية رسالة .

ومضى الأسبوع الثاني ، ولم تصل أية رسالة .

ومضى الأسبوع الثالث ، ولم تصل أية رسالة .

ولم أستطع تحمل الانتظار ، فأرسلت برقية إلى الأمير .

– وصلت برقية الأمير عبد الإله .

ثم قرأ البرقية ، كانت تقول : « تصلك الأنباء السارة قريبا » .

ولم أفهم أي معنى لهذه البرقية .

ولم أستطع أن أجد لها تفسيرا .

وفي اليوم التالي مباشرة ، جاءني السفير العراقي في أنقرة وقال لي أنه يحمل رسالة خاصة من الأمير عبد الإله .

وسألته في لهفة : أين الرسالة ؟

قال : إنها رسالة شفوية !

قلت : تكلم إذن !

قال وهو ينظر إلى أسفل : إن الأمير عبد الإله يعتذر .

وسكت السفير .

قلت في استغراب : يعتذر ! لماذا ؟

قال : لم تصل اتصالاته مع القصر الملكي في عمان ، إلى أية نتيجة ! وقد نتج عن هذه الاتصالات توتر شديد في العلاقات بين القصرين الملكيين في بغداد وعمان !

قلت : لقد وعدني الأمير عبد الإله ، بمساعدتي في الإقامة في أي عاصمة عربية في حالة عدم موافقة القصر الملكي في عمان ، على عودتي !

قال السفير : إن سمو الأمير مضطر لسحب هذا الوعد !

قلت : لماذا ، لماذا ؟

قال : لأن الملكة زين والملك حسين قالا له في صراحة ، إنهما لا يسمحان له بالتدخل في شئونهما الداخلية !

قلت : ولكني ضحية مؤامرة يجب أن تساعدوني في الخلاص منها !

قال السفير : هل يسمح لي صاحب الجلالة بالانصراف ؟

وتركني السفير .

الفصل الخامس والعشرون

وزير الدفاع يتدخل

عدت إلى اليأس من جديد .

وعدت إلى وحدتي القاتلة .

إلى أن جاءني سكرتيري ، في عصر أحد الأيام ، وقال لي :

– إن وزير الدفاع الأردني عاكف الفايز في إستانبول !

قلت : وماذا يهمني ؟

قال : إنه يلح في طلب مقابلتك ، وقد حصل على إذن من والي إستانبول بزيارتك في أي وقت يشاء !

قلت : لقد قررت بيني وبين نفسي عدم مقابلة أي مسئول قادم من الأردن !

قال : إن عاكف الفايز ، حضر خصيصا لمقابلتك !

قلت : هل يمكن أن تسأله أولا عن الموضوع الذي حضر من أجله ؟

ووعدني السكرتير بالاتصال بعاكف الفايز لمعرفة طبيعة الموضوعات التي يمكن أن يتناولها البحث عندما يجتمع بي .

واتصل السكرتير بالوزير .

ثم جاءني يقول :

– لقد أصبح من الضروري أن تجتمع جلالتك بعاكف الفايز !

قلت : لماذا ؟

قال : لأنه يرغب في التحدث إليك ، حول موضوع عودتك إلى عمان .

وقررت استقبال وزير الدفاع الأردني .

وجاء الوزير .

وقبل أن يصل إلي ليصافحني انحنى عدة مرات ، كما كان يفعل الوزراء ، في عهد الملك عبد الله ، ثم أمسك بيدي وقبلها ، أيضا ، كما كان يفعل الوزراء في عهد الملك عبد الله !

وبدأ عاكف الفايز الحديث قائلا :

– لقد أبلغني الأطباء أن حالة جلالتك الصحية على ما يرام ، وأنك لا تشكو أي مرض .

وقد تأكدت من ذلك بنفسي .

وما أريد معرفته الآن هو : هل ترغب جلالتك في العودة إلى عمان بالفعل ؟

قلت : طبعا !

قال : متى ؟

قلت : الآن ... إذا أمكن !

وقال الوزير : من الصعب طبعا أن تغادر جلالتك إستانبول

الآن ، لأن هناك إجراءات يجب أن تسبق ذلك ... ولكني سأتصل فورا بالملك حسين ليساعدني في تسهيل إجراءات خروج جلالتك من المستشفى !

قلت : إنه لن يقبل ذلك !

قال : لا ... لا ... أعتقد أنه سيقبل ذلك !

قلت : بل هذا هو المؤكد !

قال : إذا حدث ذلك ، فسوف أقدم استقالتي من الوزارة وسأرفع الأمر إلى البرلمان للنظر فيه على وجه السرعة !

قلت : أعتقد أن من المفيد أن ترفع الأمر إلى البرلمان فقط !

قال : إذا كنتم ترون ذلك ، فسوف أنفذ مشيئتكم تماما .

وودعني عاكف الفايز ، واستأذن في الانصراف !

ولا أدري حتى الآن ، هل نفذ كلامه ، أم لا ؟

الفصل السادس والعشرون

قصة الأمير الكويتي

تم اجتماعي بعاكف الفايز وزير الدفاع الأردني ، في بداية عام 1958 .

وعقب الاجتماع ، لاحظت أن بعض صحف العالم عاودت الكتابة حول موضوعي ، وكان من بين هذه الصحف بعض الصحف المصرية .

وتلقيت مئات الرسائل من مواطنين عرب لا أعرفهم ، يبلغونني فيها عطفهم الشديد على قضيتي وإيمانهم بأن العدالة ستأخذ مجراها ، حتما ، فتعود الأوضاع الطبيعية إلى الأردن !

وكانت حرارة هذه الرسائل ، تؤكد صدقها .

ورفعت الرسائل من روحي المعنوية وغيرت من نظرتي المتشائمة ، عدة أيام ، بل عدة أسابيع ؟

وأذكر أنني تلقيت من بين هذه الرسائل ، رسالة من أحد أمراء الكويت ، عرض علي فيها استعداده لمعاونتي ماديا بأي مبلغ يساعدني على الفرار من إستانبول !

ولم أرد عليها .

وبعد فترة قصيرة ، ربما لا تتجاوز ثلاثة أسابيع جاءني مدير المستشفى ، وهو يسألني :

– هل تعرف « .... » الأمير الكويتي ؟

قلت : لا .... لا أعرفه !

قال : كيف .... إنه يقول إنه صديقك ! وهو موجود في غرفة مكتبي ، ويرغب في مقابلتك !

وصمت الطبيب قليلا ، ثم قال :

– لقد وزع الأمير الكويتي 20 ألف ليرة تركية ، على موظفي وعمال المستشفى ليضاعفوا من اهتمامهم بجلالتك .

وعجبت ، هل مازال هناك أناس طيبون ؟

ووافقت على مقابلة الأمير الكويتي على الفور .

ودخل الأمير غرفتي والدموع تسيل على خديه .

وتأثرت ، تأثرا شديدا لهذا المشهد فانهالت دموعي أنا الآخر .

وعانقني الأمير ، ثم طلب من مدير المستشفى الذي كان يصحبه ، أن يتركنا وحدنا .

ونفذ الطبيب هذه الرغبة .

وما إن اختلى بي الأمير الكويتي حتى قال لي : إنه يضع ثروته كلها تحت تصرفي !

وأذهلتني المفاجأة ، ولم أصدق نفسي !

ومضى الأمير الكويتي يقول : إنه تأثر تأثرا شديدا ، عندما علم بتفاصيل ما حدث لي ، وإنه قرر أن يكرس جهوده كلها للدفاع عن قضيتي !

وقال أيضا : إنه على استعداد لدفع جميع النفقات التي تلزم لشرح قضيتي على أوسع نطاق ، وإنه أيضا على استعداد لدفع نفقات سفر وفد خاص إلى الأمم المتحدة للمطالبة بإعادتي إلى العرش .

وشكرت للأمير الكويتي ، هذه العاطفة الصادقة ، وقلت له :

– قد يكون من الصعب الآن ، أن نحاول عرض القضية على الأمم المتحدة .

وأفهمته إن كل ما أطلبه هو نقلي من تركيا إلى إحدى العواصم العربية !

وقال الأمير على الفور : بسيطة !

ثم غادر الغرفة لمدة خمس دقائق ، عاد بعدها ومعه مدير المستشفى .

وقال الأمير ، أمام مدير المستشفى :

– لقد اتفقت مع الأخ ، على السماح لجلالتك بمغادرة المستشفى في أي وقت تشاء ، دون أن يخطر السلطات التركية بذلك !

وأعلن مدير المستشفى موافقته على كلام الأمير .

وهمس الأمير في أذني بأنه قدم إلى مدير المستشفى هدية قيمة ، حتى يؤدي هذا الدور الإنساني .

وسألني الأمير ؟

هل هناك مشكلة أخرى ؟

قلت : نعم مشكلة ضخمة ! كيف يمكنني مغادرة إستانبول دون أن تنتبه السلطات التركية إلى ذلك ؟

قال : تعود معي في سيارتي عن طريق الشام !

قلت : ولكن ، أين جواز السفر !

وصمت الأمير قليلا ، ثم قال :

– سأستخرج لك جواز سفر كويتيا !

وفرحت للفكرة .

جواز السفر

تركني الأمير الكويتي ، على وعد بأن نلتقي بعد يومين ، للسفر معا إلى الشام ومنها إلى الكويت .

وقد طلب الأمير مهلة اليومين بالذات حتى يكون قد فرغ من إعداد جواز السفر .

وفي الموعد الذي حدده الأمير تماما ، جاءني ومعه بعض مرافقيه وقال :

– إنه قرر السفر إلى الكويت بنفسه لإحضار جواز السفر ، لأن معظم المسئولين في الكويت غادروا البلد للاصطياف !

وسافر الأمير بالفعل .

وجلست أحصي الدقائق والساعات ، والأيام في انتظار وصوله .

ومضى شهر كامل ، ولم يصل الأمير !

ورفضت أن أسمح لليأس بالتسرب إلى نفسي من جديد .

وعشت على أمل وصول الأمير ومعه جواز السفر .

وذات صباح ، وكانت الساعة لم تتجاوز السادسة ، دق

باب غرفتي في عنف ، ثم دخل الأمير الكويتي !

وكدت أطير من الفرحة !

وأخرج الأمير من جيبه جواز السفر وقدمه لي ، وقد ألصق فيه صورتي ، وكتب أمام خانة الاسم « ثنيان العبد الله » !

وسألت في لهفة :

– متى نسافر ؟

قال :

– ليس الآن !

وصحت : لماذا ؟

قال : ليس في مصلحتك ، أن يكشف أمر هربك الآن ، لذلك فأنا أقترح أن ترجئ السفر إلى أوائل الخريف ، إلى شهر أكتوبر مثلا .

ولم أجد مناصا من الموافقة .

وودعني الأمير ، واتفقنا على أن نلتقي في شهر أكتوبر .

ثنيان العبد الله

كان الأمير الكويتي كريما معي للغاية .

كان يرسل لي باستمرار مساعدات مالية كبيرة مع بعض مواطنيه .

وكان يستفسر عن صحتي باستمرار في خطابات أو برقيات ، يوقعها باسم ثنيان العبد الله ، اسمي المستعار !

ومرت شهور الصيف ، في تثاقل وبطء شديدين .

وجاء شهر أكتوبر ، شهر الأمل !

وبدأت أتوقع وصول الأمير في كل يوم .

وفي اليوم التاسع من الشهر وصلتني البرقية التالية :

« أصل بعد غد ... ثنيان العبد الله » .

ووصل الأمير الكويتي إلى إستانبول ، وجاءني على الفور .

وقال لي :

– كنت أرغب في مرافقتك عند سفرك من إستانبول ، ولكن المصلحة تقتضي عودتي إلى الكويت فورا !

ولاحظ الأمير علامات الاستغراب ، تعلو وجهي ، فسألني :

– هل ترغب في معرفة السبب ؟

قلت : أرجو ألا أكون قد سببت لك أية مشاكل !

قال : إن سبب رغبتي في التعجيل بالعودة ، يرجع إلى أنني اكتشفت أن موظفا بإدارة الأمن العام ، فلسطيني الجنسية ، علم بأمر هذا الجواز ، وأخشى أن يصل أمر الجواز إلى أحد المسئولين في عمان فيعملوا على عرقلة سفرك !

قلت : ماذا تفيد عودتك الآن ، ربما يكون الموظف قد أبلغ الأمر إلى سلطات عمان بالفعل !

قال على الفور : لا أعتقد !

قلت : لماذا !

قال : لأنني سجنته في قصري ، قبل أن أسافر إلى إستانبول !

وودعني الأمير بالعناق .

وأمرت صبحي طوقان بتوديعه إلى الباب الخارجي للمستشفى .

وبعد أن أستقل الأمير سيارته ، جاءني صبحي طوقان ، وسلمني رسالة من الأمير .

وكانت الرسالة غاية في الرقة والكرم ، لقد قال لي الأمير الكويتي ، إنه أودع باسمي المستعار « ثنيان العبد الله » مبلغ مائة ألف ليرة تركية ، في فرع بنك باركليز بإستانبول ، وذلك لتغطية نفقات سفري !

وبدأت أستعد للسفر ، أو بمعنى أصح ، للهرب من المستشفى !

ترتيبات السفر

عقدت اجتماعا طويلا ، مع سكرتيري لبحث ترتيبات السفر .

وحددنا موعد السفر .

وقررت أن أسافر أولا إلى بيروت ، ومن هناك أتصل بالأمير الكويتي في الكويت ، لأسأله عن الدولة التي يقترح أن أقيم بها .

وكلفت سكرتيري بحجز مقعدين على إحدى الطائرات اللبنانية ، المتجهة إلى بيروت .

ولكن ... كيف أغادر المستشفى ؟

واقترح السكرتير أن يحصل على تصريح لي من والي إستانبول ، بمغادرة المستشفى للنزهة ، في نفس اليوم المحدد للسفر ، ثم نتجه إلى المطار فورا .

ووافقت .

وانصرف السكرتير ، بعد أن اتفقنا على ترتيبات السفر .

وضحكت طويلا ، من أعماق قلبي فقد تخيلت مشهد زين وهي تستمع إلى نبأ مغادرتي المستشفى !

ونمت نوما عميقا .

فشل الخطة

في الساعة الخامسة صباحا فوجئت بباب غرفتي يدفع في قوة .

كان الظلام ، يخيم على الغرفة ، فقمت اتحسس موضع « زر » النور .

غير أني ، ما كدت أخطو خطوة واحدة حتى وجدت نور الغرفة قد أضيء ، ووجدتني أقف وجها إلى وجه أمام عدد من رجال البوليس السري التركي الذين يتولون حراسة غرفتي !

وثرت في وجه رجال البوليس السري التركي وصحت قائلا :

– كيف تقتحمون غرفتي على هذه الصورة ؟

ورد أحدهم قائلا :

– لقد وصلتنا معلومات تؤكد أن جلالتك غادرة المستشفى !

ثم ابتسم ، وقال :

– وقد أكدنا أن جلالتك مازلت بالمستشفى ، وقد جئنا للإطمئنان على صحتك !

وانصرفوا .

لم أستطع النوم بعد ذلك وتصورت أن خطة الفرار قد وصلت إلى عمان !

واتهمت على الفور سكرتيري بأنه أبلغ الخطة إلى عمان .

غير أني تذكرت أن الأمير الكويتي قال لي إن موظفا فلسطينيا ، علم بأمر جواز السفر ، ورجحت أن يكون الموظف الفلسطيني ، قد أبلغ السلطات في عمان بهذا الأمر .

وفي الساعة العاشرة تقريبا جاءني السكرتير وأبلغني أنه تلقى برقية من الأمير الكويتي ، قال فيها: « أرجو إبلاغ الأخ الأكبر ، بضرورة إرجاء الرحلة .... » .

....

ومر يومان ، ثم جاءني أحد تجار الكويت ، وأبلغني أن الموظف الفلسطيني أبلغ أمر جواز السفر إلى السلطات المسئولة في عمان ، التي قامت بالاتصال بالسلطات التركية على الفور ، لمنعي من مغادرة المستشفى !

وهكذا فشلت محاولة جديدة لإنقاذي .

وحتى الآن ، لم أر الأمير الكويتي من جديد .

وحتى الآن ، لا أعرف مصير المبلغ الذي أودعه في البنك باسمي المستعار !

الفصل السابع والعشرون

زيارة حسين

ذات يوم ، من شهر نوفمبر ...

كنت أجلس وحدي كالعادة في غرفتي بالمستشفى عندما فوجئت بناصر شقيق زين يقف أمامي .

ولم أتوقع رؤية ناصر فقلت له :

– خير ، إن شاء الله !

وارتسمت ابتسامة صفراء على وجهه ، وهو يقول :

– لقد جئت للاطمئنان على صحتك !

ثم قال :

– إن الملك والملكة يبلغانكم تحياتهما وأشواقهما !

قلت :

– أرجو إبلاغهما أنني رفضت التحيات والأشواق !

واتسعت الابتسامة الصفراء على وجه ناصر وهو يقول :

– إن الملك حسين سيصل بعد أيام إلى إستانبول للاطمئنان على صحتكم بنفسه .

قلت ساخرا :

– ولماذا يكلف نفسه ، كل هذه المشقة ؟

قال : إنه لا يكن لكم سوى كل حب واحترام !

ثم قال : وسأبقى في إستانبول ، حتى يحضر الملك حسين .

كذلك قررت الإقامة في حجرة مجاورة لحجرتكم ، حتى أشرف على راحتكم خلال فترة وجودي .

والآن ، هل تسمح لي بمقابلة الطبيب ؟

وغادر الغرفة دون أن أرد عليه بكلمة واحدة .

بعد ساعة تقريبا جاءني سكرتيري ليبلغني أن الهدف وراء إقامة ناصر في المستشفى هو مراقبتي بعد أن علموا بقصة الأمير الكويتي .

وقال لي أيضا :

– إن ناصر أبلغني أنه تقرر نقلي إلى عمان لتولي منصب كبير .

وقد أحضر ناصر معه ، بالفعل ، ضابطا آخر ليحل محلي .

وقد تمكنت بصعوبة من إقناعه بإرجاء نقلي شهرا واحدا ، حتى يمكنني بيع محتويات المنزل الذي استأجره .

وأمرت السكرتير بعدم تنفيذ قرار النقل ، لأن عودته إلى عمان تعني اعتقاله !

وبعد خمسة أيام من وصول ناصر ، وصل حسين وجاءني متهلل الوجه ، وهو يقول :

– لقد توليت قيادة الطائرة من عمان إلى إستانبول .

ولاحظ حسين وجومي ، فسألني :

– أرجو أن تكون صحتك على ما يرام !

قلت : ما عمرك ؟

وبهت حسين لسؤالي وقال : أنت أبي ، إنك بالطبع تعلم عمري !

قلت : إنك مازلت كما تركتك ، طفلا صغيرا !

واحمر وجه حسين ، وأمر مرافقيه بمغادرة الغرفة .

وسألني : ماذا بك يا أبي ؟

قلت : لقد كنت على الدوام أنتظر نضوج عقلك ، حتى تفيق إلى أبيك ، وتعي المصاعب التي مر بها والتي عاشها ، ولكن مازلت كما كنت ، طفلا صغيرا !

قال : لست طفلا .

قلت : بل إنك رضيع في نظري ، لأنك لا تملك سوى تنفيذ ما توحي إليك به الأفعى !

قال : إن الأفعى ... أمي !

قلت : للأسف الشديد !

قال : أنا لست آسفا على ذلك !

قلت : أعلم جيدا حقيقة شعورك نحوها .

ووقف حسين وهو يقول :

– يبدو أن أبي لا يرغب في رؤيتي !

قلت : لا أرغب في رؤية الابن العاق !

قال : لماذا تتحامل علي ؟

قلت : أنت تعلم السبب !

قال : لقد جئت للاطمئنان عليك ، ومعرفة رغباتك .

قلت : رغبتي الوحيدة هي أن أخرج من هذا السجن الذي وضعتني فيه أمك !

قال : أبي ، إن الأطباء لا يرون ذلك !

قلت : لست مريضا ، لست مريضا !

قال : أبي ، أرجوك ، لا تجهد نفسك !

وتركني وانصرف .

هدف الزيارة

علمت فيما بعد ، أن زيارة حسين لإستانبول ، لم تكن بهدف الاطمئنان على صحتي ، لقد كان يرغب في الاجتماع بعدنان مندريس رئيس وزراء تركيا سرا .

وعلمت أيضا أنه اجتمع بمندريس أربع مرات في منزل هاني هاشم السفير الأردني في تركيا .

وكان هدف هذه الاجتماعات ، هو تكملة المباحثات التي كان قد بدأها هو وأمه زين مع مندريس بهدف إشراك الأردن في حلف بغداد .

وخلال الفترة التي أمضاها حسين في إستانبول أجرى عدة اجتماعات مع لجان حلف بغداد المختلفة .

وخلال تلك الفترة أيضا حصل على « مساعدات شخصية » ضخمة من أمريكا عن طريق سفيرها في أنقره .

ويبدو أن حسين كان يحرص على تكتم خبر زيارته لإستانبول ، لأن الحكومة التركية أصدرت أمرا إلى جميع الصحف بعدم الإشارة إلى وجود حسين في إستانبول .

غير أن مجلة صغيرة ضربت عرض الحائط بأمر الحكومة ، وكتبت مقالا طويلا حول أهداف زيارة حسين وقالت صراحة إن حسينا وافق على انضمام الأردن إلى حلف بغداد .

وقد ترتب على هذا المقال مصادرة المجلة وسجن رئيس تحريرها .

....

وخلال وجود حسين في إستانبول وقع حادث لم يشر إليه في جميع الصحف التركية .

كان حسين يرقص في أحد الأندية ، وهو ثمل للغاية .

وتقدم إليه أحد مرافقيه ، ونصحه بالعودة إلى الفيلا التي كان يقيم بها .

ورفض حسين !

ولم يكتف بذلك ، بل صفع المرافق الذي أسدى إليه النصيحة !

وتأثر المرافق وأمسك بحسين وجعل يضربه ضربا مبرحا ، إلى أن وقع مغشيا عليه ! ثم اختفى المرافق !

وأفصح مرافق آخر عن شخصية الملك فامتلأ النادي الليلي برجال البوليس ، الذين حملو حسين إلى الفيلا .

وعندما عاد حسين إلى صوابه أمر بالبحث عن المرافق ، فقيل له إنه غادر إستانبول إلى الكويت ، وإنه سيطلب اعتباره لاجئا سياسيا هناك .

واضطر حسين إلى الاحتجاب في الفيلا ، أسبوعا حتى زال أثر الكدمات التي نتجت عن ضرب المرافق له .

....

ووقع حادث آخر لحسين أيضا في إستانبول ، وأيضا لم يشر إليه في الصحف التركية حتى الآن .

كان حسين تناول العشاء في فندق هيلتون عندما اقترب منه شاب أردني ، وأخرج مسدسه من جيبه في سرعة ، وأطلقه على الملك .

ولم يصب حسين لأن أحد المرافقين ، دفع في قوة بالمقعد الذي كان يجلس عليه ، فوقع على الأرض !

أما المرافق فقد أصابته الرصاصة في كتفه .

وقد قبض على الشاب الأردني .

الفصل الثامن والعشرون

مستشفى جديد

قبل أن يغادر حسين إستانبول بساعات جاء لزيارتي في المستشفى ، وكان برفقته عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا وعدد كبير من رجال البوليس .

وقال لي حسين : إنه تقرر نقلي إلى مستشفى خاص ، تليق بي بدلا من مستشفى الأمراض العقلية !

وعاد حسين إلى عمان .

وفي اليوم التالي ، تم نقلي بالفعل إلى مستشفى آخر ، ليس مستشفى خاصا ، كما قال حسين ، ولكن .... مستشفى للولادة وأمراض النساء !

في مستشفى الولادة

تقع مستشفى الولادة التي نقلت إليها في حي أدرتاكوي بمدينة إستانبول .

أما اسم المستشفى فهو « ادرتاكوي شفا يوردوا » أي دار الشفاء !

ويحيط بالمستشفى من جميع الجهات سور ضخم ، يزيد ارتفاعه عن خمسة أمتار !

وقد كان مبنى المستشفى في الماضي قصرا لآل عثمان ، وبعد انقلاب أتاتورك بيع القصر ، وأعده صاحبه ليكون مستشفى للولادة .

وقد خصص لي في المستشفى جناح مكون من أربع حجرات .

- الحجرة الأولى صالون .
- الحجرة الثانية للنوم .
- الحجرة الثالثة تضم اثنين من الممرضين .
- الحجرة الرابعة تضم أربعة من رجال البوليس السري التركي .

وعلى باب كل حجرة من هذه الحجرات كان يقف اثنان من رجال البوليس التركي بملابسهم الرسمية .

كان واضحا أن الهدف الوحيد وراء نقلي إلى هذه المستشفى هو تشديد الحراسة علي ، حتى يحول بيني وبين الاتصال بأي إنسان ، وبالتالي ضمان عدم مغادرتي للمستشفى !

وفي اليوم الأول لوصولي إلى هذه المستشفى ، جاءني صاحبها ، وهو طبيب مشهور في أمراض النساء وقال لي : إنه قد صرح لي بقراءة الصحف والكتب !

وعلى الفور ، طلبت إلى سكرتيري شراء مجموعة كبيرة من الكتب والصحف .

الفصل التاسع والعشرون

خطابات إلى حسين

أصبحت القراءة ، بعد ذلك ، هي تسليتي الوحيدة !

وكنت أفضلها على أي شيء آخر ، كنت أنسى طعامي في كثير من الأيام ، لاستغراقي في القراءة .

لقد شعرت أن الكتب والصحف ، هي كل صلتي بالعالم .

وكنت سعيدا بذلك ، فقد كنت أشعر باستمرار ، بتطور تفكيري ، وأشعر باستمرار بأنني أضيف معلومات جديدة إلى معلوماتي .

وكلما انتهيت من قراءة كتاب استدعي سكرتيري وأدعوه لتناول الغداء أو العشاء معي ، اعترافا بفضله في إحضار الكتب والصحف لي .

وبعد عدة أيام ، أبلغني سكرتيري أنه تعرف بأحد الدبلوماسيين اللبنانيين وأنه اتفق معه على أن يشترك باسمه في جميع الصحف العربية الهامة ، التي تصدر في سائر العواصم العربية ، ثم يرسلها لي بمجرد وصولها .

ونفذ الدبلوماسي اللبناني ما اتفق عليه ، مع السكرتير .

وأصبحت تصلني جميع الصحف والمجلات العربية .

ومن خلال تلك الصحف والمجلات . بدأت أتابع أحداث العالم العربي .

كان اهتمامي بما يجري في الأردن ، يأتي في الدرجة الأولى .

وقد تابعت باهتمام الأحداث التي أدت إلى إساءة العلاقات بين الأردن وبين الدول العربية .

كنت أعلم من يقف وراء هذه الأحداث من الدول الأجنبية .

كنت أعلم أن المسئول عن نتائج هذه الأحداث ليس حسين وحده ، بل إن هناك عشرات يشتركون معه ، من بينهم بل في مقدمتهم زين ، وشقيقها ناصر !

ووجدت نفسي مضطرا للكتابة إلى حسين ، حتى أنصحه بضرورة تعديل سياسته .

وأرسلت له خطابا طويلا ، قلت فيه : « يجب أن تضع نصب عينيك دوما ، المصير الذي انتهى إليه حكام كثيرون ، في منطقتنا نتيجة لقبولهم تنفيذ ما يمليه عليهم الاستعمار ... » .

ولم يرد حسين .

....

وقرأت في إحدى الصحف أن حسين ، قرر إقامة ضريح لجده ، يحج إليه الناس كما يحجون إلى أضرحة أولياء الله الصالحين !

وثرت .... .

فأنا أعلم أن ذلك يعني مخالفة أمر لي ، كنت قد أصدرته خلال الفترة التي توليت فيها العرش .

فقبل أن يغتال الملك عبد الله بعدة أيام ، كان يتحدث إلى عدد من أصدقائه ، عن الموت وأوصاهم بدفنه ، بعد موته ، أمام قصر بسمان ، وإقامة ضريح له ، كأضرحة أولياء الله الصالحين !

وبعد اغتياله قرر هؤلاء الأصدقاء ، تنفيذ وصيته ، وجاءوا يبلغونني ذلك .

غير أني رفضت تنفيذ الوصية ، لأن الملك عبد الله لم يقم طوال حياته ، بأي عمل صالح ، بل العكس ، كان يتآمر على بلاده ، وعلى بلاد العرب كلها ، وكان ينفذ أي أمر يصدر إليه من بريطانيا ، بل إنه كان يتعاون مع اليهود إرضاء لبريطانيا !

وأمرت بنقل جثة الملك عبد الله من المكان الذي كان مفروضا أن يقام فيه الضريح ، إلى مقابر الأسرة المالكة ، خلف القصور !

وكتبت إلى حسين مطالبا بعدم إقامة ضريح للملك عبد الله .

واستدعيت سفير الأردن في أنقرة ، وسلمته الخطاب .

وبعد أسبوع جاءني السفير وأبلغني أن حسين قد تسلم الخطاب ، وأنه كلفه بإبلاغي عدوله عن إقامة ضريح خاص

للملك عبد الله ، بالرغم من « حبه العميق له وإعجابه الشديد بجهاده » !

....

وبعد وحدة مصر وسوريا ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، أرسلت رسالة طويلة إلى حسين ، قلت فيها ؟

« إن بلاد العرب ، كانت قبل الحرب العالمية الأولى تشكل وحدة قوية ، ثم عمد الاستعمار إلى تقسيمها إلى دول وإمارات ومحميات .

وقلت أيضا : إنني أعلم أن ما يحول ، دون تحقيق الوحدة العربية الشاملة هي الأسرة الهاشمية في العراق والأردن !

ثم قلت له ناصحا : إن هذه الوحدة ستتم حتما ، إن آجلا أو عاجلا ، والشعب العربي ، لن يسمح لأي حاكم بأن يحول دون تحقيق هذا الأمل الذي عاش من أجله .

« وواجب جميع القادة المخلصين ، أن يعملوا على تحقيق هذه الوحدة ، مهما كان ثمنها » .

ولم يرد حسين .

....

وقامت ثورة العراق .

وقتل الملك فيصل ، والأمير عبد الإله ونوري السعيد ، وغيرهم من السياسيين الذين تعاونوا سنوات طويلة مع الاستعمار .

وأرسلت خطابا إلى حسين ، قلت فيه :

« إنني أخشى أن تمتد غضبة الشعب العربي إلى الأردن ، وآمل أن تعملوا على تجنبها ، بعدم التصدي للتيار العربي الجارف » !

ولم يرد حسين .

وقررت وقف الكتابة إليه .

الفصل الثلاثون

مع الحبالى

مضى عام تقريبا ، وأنا سجين الجناح المخصص لي بمستشفى الولادة .

وسئمت هذه الحياة ، فأرسلت أستدعي الطبيب ، ليسمح لي بالجلوس في حديقة المستشفى .

ووافق الطبيب ، غير أنه اشترط أن أجلس في الحديقة بملابس النوم ، وفي حراسة رجال البوليس التركي .

واضطررت إلى الموافقة .

وأصبحت أجلس في الحديقة كالسجين .

وعندما كنت أعود من الحديقة إلى جناحي بالمستشفى ، كانت عيناي لا تلتقيان إلا بالسيدات الحبالى أو اللاتي أتممن عملية الوضع !

الفصل الحادي والثلاثون

زين مريضة

ذات صباح .

قرأت في إحدى الصحف اللبنانية ، أن زين مريضة !

وأكدت صحيفة أردنية ، هذا النبأ ، وأضافت قائلة : إن زين ستسافر قريبا إلى إستانبول للعلاج !

وأيقنت أن مؤامرة جديدة في الطريق .

إن زين تتخذ دوما ، من إستانبول ، مسرحا لاتصالاتها ، ومؤامراتها ضد الأردن !

● قبل حلف بغداد ، كانت تتوارى عن الأنظار ، وتجتمع بالبريطانيين في إستانبول !

● وبعد حلف بغداد ، كانت تجري الاتصالات التي كانت تستهدف إشراك الأردن في الحلف ، أيضا في إستانبول !

● وأكثر من مرة ، أجرت مباحثات طويلة ، مع جلال بايار وعدنان مندريس ، أيضا في إستانبول !

وأكثر من مرة ، اجتمعت بمستر هندرسون ، ممثل أيزنهاور في الشرق الأوسط ، أيضا في إستانبول .

ووصلت زين إلى إستانبول .

وبدأت تصلني الأخبار عن نشاطها .

إنها تجتمع كل يوم بعدنان مندريس .

وتتصل دوما بالسفير الأمريكي في أنقرة .

وبعد وصولها بعدة أيام ، أرسلت وصيفتها الأميرة فاطمة إلى عمان ، ومعها رسالة إلى حسين ، تطلب فيها حضوره على وجه السرعة إلى إستانبول .

وفي أقل من 24 ساعة ، وصل حسين إلى إستانبول ، يرافقه خاله ناصر .

وفي قصر يلدز عقد اجتماع ثلاثي بين حسين وزين وعدنان مندريس ، عرض مندريس خلاله ، استعداد الحكومة التركية لإقناع الحكومة الأمريكية بزيادة المساعدات المالية للأردن ، بشرط أن يظل الأردن ، على سياسة العداء للقومية العربية .

وفي هذا الاجتماع أيضا ، أبدى مندريس استعداده التام لمساندة الجيش الأردني للصمود أمام أي دولة عربية تحاول الاعتداء عليه !

ووافق حسين .

وبعد ساعتين ، عقد اجتماع آخر في قصر يلدز أيضا ، شهده مستر هندرسون ممثل أيزنهاور ، وجلال بايار رئيس جمهورية تركيا ، وعدنان مندريس رئيس وزرائها ، وحسين وزين .

وفي هذا الاجتماع الذي استمر ثماني ساعات ، تم الاتفاق على تفاصيل المساعدات الأمريكية للأردن ، وشروطها .

وبعد انتهاء الاجتماع ، أي عند الفجر ، عاد حسين إلى عمان ، حتى لا يلحظ أحد تغيبه !

الفصل الثاني والثلاثون

مهـمة أخـرى

أما زين ، فقد بقيت في إستانبول .

إن زين تحب التردد كثيرا على إستانبول ، فقد ولدت فيها عام 1908 .

وقد عاشت سنوات صباها الأولى في إستانبول .

وهي تتقن اللغة التركية ، إتقانا تاما ، وتتكلمها بطلاقة .

ولكن حب زين لإستانبول ، لم يكن سبب بقائها في إستانبول .

ومرضها المزعوم ، لم يكن أيضا سبب بقائها !

لقد كان سبب بقائها في إستانبول هو : الملكة دينا !

بدأت كراهية زين الشديدة للملكة ديناً ، منذ اليوم الذي علمت فيه ، برغبة حسين الحقيقية في الزواج منها !

لقد عاشت زين ، الفترة منذ غادرت عمان ، حتى ذلك الوقت ، كما تريد أن تعيش .

كانت هي الحاكمة الحقيقية للأردن .

كانت تعين الوزراء ، وتقيلهم ، بل إنها كانت تعين رؤساء الوزارات !

كانت تنفذ تعليمات السفير البريطاني ، دون أن تخطر حسين بها !

كانت تجتمع بالوزراء ، أو النواب ، في أي وقت !

كانت تعين من تريد في وظائف الدولة الضخمة !

كانت تتقاضى الرشاوى ، وتفرض الإتاوات .

كانت تستأجر أكثر من مسكن ، لها ولأصدقائها ، ولحلاقها الخاص أيضا !

وخشيت زين من وجود سيدة أخرى إلى جانب حسين ، خشيت أن يؤدي ذلك ، إلى تضاؤل نفوذها ، وخروج حسين من قبضتها ، وفشل خططها المختلفة .

وراحت تثير الإشاعات المغرضة ، حول الملكة دينا ، في كل مكان .

ونجحت في إيصال هذه الإشاعات إلى الملك حسين .

وترتب على ذلك ، إرجاء زواج حسين من دينا ، بعض الوقت .

غير أن حسين ، استطاع أن يتحرر من سيطرة زين ، فترة قصيرة ، عاد خلالها إلى صوابه ، وقرر إتمام زواجه من دينا .

وتزوج حسين ودينا .

وجنت زين .

وبدأت ترسم الخطط لإفشال الزواج .

كانت تعامل دينا معاملة سيئة للغاية ، بل إنها كانت تتجاهلها !

كانت ترفض زيارة دينا .

كانت تشهر بها في جميع المجتمعات في الأردن .

كانت ترسل إليها من يبلغها العبارات الجارحة !

ولم تتأثر دينا . كانت أرجح عقلا وأنضج تفكيرا من زين .

وازداد حقد زين .

قررت بالاشتراك مع وصيفتها الأميرة فاطمة ، أن تنثر الفتيات الرقيعات ، في طريق حسين .

ولم تتأثر دينا ، ولم تحاول منع حسين ، أو محاسبته على تصرفاته .

وقد كان التيار الجديد ، الذي دفعت زين ابنها إليه تيارا جارفا ، انساق معه حتى النهاية .

وكان من نتيجة ذلك ، أن أصبح حسين يلهو طوال الوقت في الصباح وفي الظهر وفي المساء .

وأصبح لا يتردد في اقتحام أي مكان عام ، والسطو على أي سيدة تعجبه . حتى ولو كانت تجلس مع زوجها .

وأصبح يظهر مع فتيات أجنبيات يصلن له خصيصا من أوروبا .

وأصبح لا يقود السيارة ، إلا وهو في أشد حالات السكر وبأقصى سرعة ، وقد تسببت سرعته في قتل عدد غير قليل من المواطنين الأبرياء .

وكان طبيعيا أن تثور دينا ، وتغضب للمصير الذي انتهى إليه حسين .

ولكن دينا ، آثرت أن تقدم على تصرف عاقل فطلبت موافقة حسين على أن تقوم بزيارة أسرتها في القاهرة .

وسافرت دينا إلى القاهرة ، وقد قررت عدم العودة إلى عمان !

وهكذا ، نجحت خطة زين .

وساطات

علمت ، بعد ذلك ، أن بعض الوسطاء حاولوا إصلاح العلاقات بين حسين ودينا ، وأن هذه المحاولات نجحت بالفعل وأجرى حسين اتصالات بدينا في القاهرة ، وطلب إليها العودة إلى عمان ، غير أن دينا رفضت العودة على أساس وضعها السابق .

بعد ذلك ، قيل لي إن دينا قررت وضع حد لحياتها مع حسين ، وأنها أرسلت تطلب السماح لها بتربية كريمتها الأميرة عالية في القاهرة . غير أن زين رفضت ذلك ، وقررت عدم السماح لها ، بمجرد رؤية كريمتها !

وكررت دينا المحاولة ، عدة مرات ، ولكنها فشلت .

واضطرت دينا ، إلى أن تلجأ إلى الملك فيصل والأمير

عبد الإله ، حتى يقنعا حسين وزين ، بالسماح لها بتربية كريمتها .

كان فيصل وعبد الإله وقتئذ في زيارة لإستانبول .

وقررت السفر إليهما .

واحتفى فيصل بها إلى أقصى الحدود ، وقرر تخصيص القصر الذي كان يقيم به ، وهو قصر « كوشوك سو » لإقامتها طوال الفترة التي ستمضيها في إستانبول .

وبدأ فيصل وعبد الإله ، يجريان اتصالاتهما مع حسين لإقناعه بإعادة العلاقات الطبيعية مع دينا أو السماح لها بتربية كريمتها ، على الأقل !

ويبدو أن زين علمت بأمر هذه الوساطة وخشيت نجاحها فجاءت إلى إستانبول ومعها الأميرة عالية وقالت لفيصل وعبد الإله أن حسين استجاب لوساطتهما ، وقرر السماح لدينا بمجرد رؤية كريمتها لمدة ساعة !

ووافقت دينا ، إذ كان قد مضى عام تقريبا ، دون أن ترى كريمتها .

وتكررت بعد ذلك زيارات دينا لإستانبول ، لرؤية كريمتها حتى بعد قيام ثورة العراق ، ومقتل فيصل وعبد الإله ، اللذين كانت تخشاهما زين إلى أقصى الحدود .

وفي إحدى زيارات دينا لإستانبول ، علمت الصحف التركية بوجودها ، فكتبت طويلا تمتدحها وتصفها « بالملكة المثقفة » وحصلت إحدى الصحف على حديث من الملكة دينا ، واختارت له عنوانا « أول حديث لملكة الأردن » !

وكانت زين هي الأخرى في إستانبول .

وقرأت ما كتبته الصحف عن دينا ، فطار عقلها ! كيف تصف صحف تركيا دينا بأنها ملكة الأردن ؟ كيف تكتب المقالات الطويلة عنها !

وعلى الفور ، أمرت طبيبها شوكت الساطي ، بعقد مؤتمر صحفي ليوضح حقيقة الملكة دينا !

وعقد المؤتمر بالفعل ، وأعلن شوكت الساطي للصحفيين الأتراك ، أنه مكلف من القصر الملكي في عمان ، بتوضيح أن الملكة دينا ، لم تكن في يوم من الأيام ملكة للأردن ! وأنها طلقت من الملك حسين ! وأن ملكة الأردن – على الدوام – هي صاحبة الجلالة الملكة زين !

ونشرت بعض الصحف ، ما أعلنه شوكت الساطي ، بينما امتنعت صحف أخرى عن نشر كلمة واحدة عن المؤتمر الصحفي !

الفصل الثالث والثلاثون

حقيقة جديدة

بقيت زين في إستانبول إلى أن غادرتها دينا .

وخلال تلك الفترة جاءت لزيارتي في المستشفى .

وكان برفقتها طبيبها شوكت الساطي ، وأثناء وجودها جاءت إحدى الممرضات لتقدم لي بعض الأدوية ، بناء على أمر الطبيب .

وما كادت زين ترى الممرضة ، حتى امتقع وجهها ، وهبت واقفة ، ثم صاحت في وجه الممرضة باللغة التركية ، قائلة ما معناه :

– اخرجي بره !

وعجبت لهذا التصرف ، وعجب معي كل من كان في الغرفة ، بينما احمر وجه الممرضة ، وغادرت الغرفة على الفور .

ولم تكتف زين بهذا التصرف ، بل أمرت طبيبها شوكت الساطي باستدعاء الطبيب المشرف على علاجي .

وصاحت زين في وجه الطبيب بمجرد رؤيته :

– كيف تسمح بذلك !

ورد الطبيب مستغربا :

– ماذا تقصدين ؟

قالت :

- كيف تسمح بدخول الممرضات إلى غرفة الملك ؟

قال : ماذا يمنع ذلك ؟

قالت : لقد أصدرت أمرا بعدم السماح لأية امرأة بمخالطة الملك .

ولم أتمالك أعصابي ، فجذبتها من يدها ، ثم فتحت باب الحجرة ، ودفعتها إلى الخارج .

وقال شوكت الساطي ، بصوت مرتفع :

- لا يجوز يا جلالة الملك !

وقبل أن يكمل كلامه ، كنت قد طردته هو الآخر من الغرفة .

تكشف لي بعد هذا الحادث حقيقة جديدة ، أن زين تحرم مخالطتي لأية سيدة كجزء من خطتها للتأثير على أعصابي !

وعلمت فيما بعد أن زين أصدرت أمرا منذ اليوم الأول الذي وصلت فيه إلى إستانبول ، بمنعي من مقابلة أية سيدة في حجرتي ، حتى ولو كانت الممرضة !

وعلمت أيضا أنها جاءت إلى إستانبول خصيصا في إحدى المرات ، لتطرد ممرضة علمت بأنها تقوم بإعطائي الحقن ، بدلا من الطبيب !

إلى هذا الحد ، بلغ حرص زين على إبعادي عن السيدات !

الفصل الرابع والثلاثون

مع مندريس

ذات يوم ، فوجئت بأحد ضباط البوليس التركي يدخل غرفتي ، وفي يده سلة زهور .

ووضع الضابط سلة الزهور على المنضدة ، ثم قدم لي بطاقة كتب عليها « مع تحيات عدنان مندريس » .

غريبة !

ما سبب هذا الود المفاجىء ؟

وماذا يعنيه !

وقبل أن أجد الإجابة كان باب غرفتي في المستشفى يفتح ليدخل عدنان مندريس !

وابتسم مندريس ، وهو يقول :

- مشاغلي تحتم علي البقاء بأنقرة فترات طويلة ، الأمر الذي لا يمكنني من زيارتكم باستمرار !

قلت : أشكركم .

قال : أحب أن أنتهز فرصة وجودي أيضا لأسألكم هل تسير الأمور هنا في المستشفى وفقا لتعليماتكم ؟

ولم أرد سوى بكلمة واحدة ، قلت له : أشكركم !

واختفت الابتسامة من وجه عدنان مندريس ثم قال :

- هناك موضوع أحب أن أعرف رأيكم فيه بصراحة .

قلت : ما هو ؟

قال : موضوع انضمام الأردن إلى الحلف المركزي !

قلت : أعتقد أن رأيي واضح في هذا الموضوع .

قال في لهفة : ما هو ؟

قلت : إن الأردن لا يمكن أن يشترك في الحلف أو في أي فرع من فروع نشاطه .

قال : لماذا ؟

قلت : لأن الشعب الأردني لا يؤيد سياسة الأحلاف .

قال : من قال ذلك ؟

قلت : أنا أعلم ذلك جيدا !

قال : ولكن ألا تعتقد معي أن من مصلحة الأردن الاشتراك في هذا الحلف ؟

قلت : لا ... لا أعتقد أن ذلك من مصلحة الأردن .

قال : أعتقد أن من الأفضل أن ننهي حديثنا !

قلت : أريد أن أعرف ما هي أهمية استشارتي في مثل هذا الموضوع !

قال : إنني أعلم أنك الشخص الوحيد الذي يستطيع إقناع الشعب الأردني بمزايا الحلف !

قلت : لو فعلت ذلك ، لعلقت جثتي في الشوارع ، كما حدث لعبد الإله ونوري السعيد .

قال : أعتقد أن موافقتكم على إشراك الأردن في الحلف المركزي وتأييدكم لفكرته سيساعد في عودتكم إلى الأردن سريعا .

قلت : أنا لا أقبل المساومات على حساب شعب الأردن !

قال : أنا لا أساوم ! وهذا مجرد كلام لك أن تقبله ، ولك أيضا أن ترفضه !

وودعني مندريس بابتسامة ، ولم يكلف نفسه مشقة مصافحتي .

زهور جديدة

مضى يومان على هذه المقابلة .

وفي صباح اليوم الثالث ، جاءني نفس الضابط الذي حمل لي سلة الزهور الأولى ، وقدم لي سلة زهور جديدة ، ومعها بطاقة كتب عليها نفس العبارة التي كتبت على البطاقة الأولى « مع تحيات عدنان مندريس » !

وخطر إلى ذهني أن أرفضها .

وبقيت مرتبكا ، عدة لحظات ، كان الضابط خلالها قد وضع سلة الزهور فوق منضدة صغيرة وغادر الغرفة .

وظللت أكثر من ساعة أبحث – وحدي – عن معنى سلة الزهور الثانية .

ولم أهتد إلى تحليل معقول .

وضغطت على الجرس الموضوع إلى جوار سريري فجاءني أحد رجال البوليس ، فطلبت إليه استدعاء الطبيب المعالج .

وجاء الطبيب وقال في فزع :

– أرجو أن تكون صحتكم على ما يرام .

قلت : إن صحتي ليست هي سبب استدعائك !

قال : لقد أمرني رئيس الوزراء بأن أكون تحت تصرفكم دائما ، وأن أتولى بنفسي بحث جميع الأمور الخاصة بكم !

وعجبت ، إنني لم ألمس مثل هذه الرقة من قبل ، ما سببها ؟ وما وراءها !

سألت الطبيب : هل تقابل رئيس الوزراء ؟

قال : نعم .

قلت : متى تمت آخر مقابلة بينكما ؟

قال : منذ ثلاث ساعات تقريبا !

واتجه الطبيب ببصره نحو سلة الزهور ، وقال :

– لقد أمر رئيس الوزراء بإرسال زهور إلى جلالتكم !

قلت : لقد وصلتني الزهور بالفعل !

وابتسم الطبيب .

قلت : لا أدري ما هو السر الحقيقي « للود المفاجئ » الذي يعاملني به رئيس الوزراء ؟

قال : إنه يكن لكم كل تقدير !

قلت : إذا كان هذا التقدير صادقا ، فلماذا وافق على إدخالي إلى مستشفى الأمراض العقلية ؟

قال : إن هذا الأمر لا يدخل في اختصاصه !

قلت : كيف ، إنه رئيس الوزراء .

قال : إن موضوع المستشفى موضوع خاص بكم في الأردن ولا يجوز له أن يقحم نفسه فيه !

وحاول الطبيب أن يظهر اهتماما خاصا بي ، فأمسك بمقياس الحرارة ووضعه في فمي ، وبعد دقائق أخرجه وهو يقول : الحرارة طبيعية جدا .

قلت : نعود إلى حديثنا السابق ، هل روى لك رئيس الوزراء ماذا جرى بيني وبينه ؟

قال : لا ، لا ، طبعا .

قلت : ماذا كان سبب مقابلتك الأخيرة له إذن ؟

قال : لقد قال لي أنه يشعر بأن الحكومة التركية قصرت كثيرا نحوكم ، ولذلك فهو يرغب في تقديم كافة وسائل الراحة الممكنة لكم ؟

وصمت الطبيب قليلا ، ثم قال :

وقد فهمت من رئيس الوزراء أنه يرغب في إعداد قصر لكم للإقامة به ؟

واستأذن الطبيب في الانصراف .

تعليمات رئيس الوزراء

ذبلت الزهور التي أرسلها عدنان مندريس ورفعت من الغرفة .

ووقف تفكيري في معنى هذه الزهور .

ونسيت حديثي مع الطبيب تماما !

إلى أن جاءني صباح أحد الأيام ضابطان كبيران من الجيش التركي وأبلغاني أن رئيس الوزراء أمر بنقلي إلى قصر خاص !

وسألني أحدهما :

– متى يأمر صاحب الجلالة بالانتقال إلى القصر الجديد ؟

قلت : لا يهمنى الانتقال إلى قصر جديد أو البقاء في هذا المستشفى !

وتغير لون وجه الضابطين . ووجما قليلا ، ثم قال أحدهما :

– إننا ننفذ تعليمات رئيس الوزراء ، وستكون السيارة معدة لتقل جلالتكم إلى القصر في الساعة الخامسة مساء .

وانصرف الضابطان .

وعدت إلى حيرتي وقلقي وتفكيري في أهداف عدنان مندريس وراء كل هذا الود المفاجئ .

وجاءني الطبيب المعالج ، وطلب إلى أن أجلس في حديقة المستشفى ، إلى أن يتم إعداد حقائبي .

ورافقني بنفسه إلى الحديقة .

وجاء موعد طعام الغداء .

وقال لي الطبيب : أرجو أن يتيح لي صاحب الجلالة شرف تناول طعام الغداء معي في المنزل !

غريبة !

لماذا كل هذه الرقة المفاجئة ؟

وذهبت مع الطبيب إلى منزله وتناولنا طعام الغداء .

وصحبني الطبيب ، بعد انتهاء الغداء إلى المستشفى ، حيث كان ينتظرني الضابطان الكبيران .

وذهبت إلى غرفتي .

وبعد دقائق جاء الضابطان وأديا لي التحية العسكرية ، ثم قالا في أدب جم :

– السيارة معدة يا صاحب الجلالة !

وضحكت ، فقد قررت أن أنظر إلى هذا التطور في المعاملة على أنه فصول في مسرحية مضحكة !

وركبت السيارة ، ومعي الضابطان وذهبنا إلى القصر الجديد .

الفصل الخامس والثلاثون

السجن الجديد

كان القصر اجديد عبارة عن منزل أنيق ، مكون من طابقين ، تحيط به حديقة واسعة .

ودخلت إلى القصر ، ومن خلفي الضابطان ، وعلى باب القصر كان ينتظرني رئيس الخدم ، والخدم ، وانحنوا جميعا عندما مررت بهم .

وأوصلني الضابطان ، إلى حجرة الصالون ، واستأذنا في الانصراف .

وقمت أتجول في أنحاء القصر .

خرجت إلى البهو الكبير ، فوجدت ثلاثة من الخدم يتهامسون .

ودخلت إلى غرفة المائدة ، فوجدت اثنين من الخدم .

دخلت إلى غرفة المكتب ، فوجدت أحد الخدم يجلس على أحد الكراسي المتناثرة فيها ، وهب واقفا عند رؤيتي !

وصعدت إلى الدور الثاني ، الدور المخصص للنوم .

دخلت إلى غرفة النوم ، فوجدت أحد الخدم ينحني تحت السرير !

دخلت إلى غرفة نوم أخرى ، فوجدت خادما آخر .

دخلت إلى غرفة صالون صغيرة فوجدت أيضا خادما بها !

ولم يكن من الصعب أن أستنتج أن كل هؤلاء الخدم ليسوا إلا رجال بوليس تنكروا في زي الخدم !

وتضايقت .

وعدت إلى غرفة الصالون بالدور الأول .

وبدأت أشعر باختناق أنفاسي .

واستدعيت رئيس الخدم ، ويبدو أنه كان ضابطا ، وسألته :

– ما سبب هذا العدد الضخم من الخدم ؟

قال : لخدمة جلالتكم !

قلت : لا أعتقد أن خدمتي تحتاج إلى أكثر من خادمين .

قال : إن تعليمات رئيس الوزراء تقضي بتهيئة جميع وسائل الراحة لجلالتكم !

قلت : هل يمكن إنقاص عدد الخدم ؟

قال : لا أعتقد .

قلت : لماذا ؟

قال : لأن وجود هذا العدد من الخدم يحمل معنى التكريم الشديد لجلالتكم !

قلت : إذن لي مطلب آخر ، هل يمكن منعهم من دخول

غرف الدور الأعلى على الأقل ؟

قال : طبعا ، طبعا .

ثم ابتسم وقال في خبث :

– هل يفضل صاحب الجلالة ، تعيين سيدة للإشراف على تنظيم غرف النوم ؟

وفهمت ما يعنيه ، وقلت له :

– لا ، شكرا .

وقبل أن ينسحب رئيس الخدم قال لي : سيكون العشاء معدا بعد ربع ساعة .

وتناولت العشاء .

ثم صعدت إلى الدور الأعلى وتقدمني رئيس الخدم ، ليدلني على الغرفة المخصصة لنومي .

وعلى باب الغرفة ، ابتسم رئيس الخدم وقال :

– إن أثاث هذه الغرفة صنع في إيطاليا ، أرجو أن يلائم ذوق جلالتكم .

ثم حياني بانحناءة ، ولفت نظري أنه ضم قدميه خلال التحية ، بطريقة عسكرية ، لدرجة أنه أحدث صوتا ، تماما كالعسكريين !

جهاز التسجيل

أحكمت غلق باب الغرفة .

ولست أدري لماذا قررت أن أفتشها .

وبدأت التفتيش ، في الدولاب ، تحت الكراسي ، تحت الأريكة الكبيرة في أدراج « الشيفونيرة » ولم أجد شيئا سوى ملابسي !

وتذكرت مشهد الخادم الذي رأيته وقد انحنى تحت السرير ، فانحنيت تحت السرير ، وكانت مفاجأة جديدة ، لقد وجدت جهاز تسجيل ، وقد رفع الغطاء من فوقه ، حتى يمكن استعماله بمجرد الضغط على « الزر » !

وأخرجت جهاز التسجيل وفحصته جيدا ، إنه من طراز جروندج الألماني .

وربطت على الفور ، بين وجود الجهاز وبين العرض الذي قدمه رئيس الخدم بإبدال خدم الدور الأعلى بسيدة !

وثارت أعصابي .

وبحركة لا إرادية وجدتني أفتح النافذة وأقذف بجهاز التسجيل .

وأصبت بصداع قاس ، فغادرت الغرفة أبحث عن مسكن للصداع ، وفوجئت بوجود خادمين أمام باب الغرفة تماما كالحارسين اللذين كانا يقفان أمام باب المستشفى !

وذعر الحارسان ، فقد كانا لا يتوقعان خروجي على هذه الصورة ، وانحنى الاثنان لتحيتي وضما قدميهما بطريقة عسكرية ، أحدثت صوتا ، تماما كما فعل رئيس الخدم !

ولم يعد لدي أدنى شك ، في أن جميع الخدم من رجال البوليس !

واحترت .

كيف أتصرف ؟

واستدعيت رئيس الخدم ، وطلبت منه البحث عن سكرتيري !

واعتذر رئيس الخدم قائلا : الوقت متأخر ، ولا يمكنني البحث عنه الآن !

وصرخت في وجهه : ابحث عنه فورا .

ورفعت سماعة التليفون ، فرد علي صوت أجش قائلا :

– ماذا تريد ؟

قلت في ثورة :

– أريد الاتصال فورا برئيس الوزراء .

قال صاحب الصوت الأجش في برود :

– من المتكلم ؟

قلت :

– أنا طلال .

وبنفس البرود ، رد قائلا :

– آسف ، لا أعرف رقم تليفون رئيس الوزراء !

وزادت ثورتي ، فاستدعيت رئيس الخدم من جديد وسألته :

– أريد أن أعرف ، هل أقيم في سجن ، أم في قصر ؟

ولم يتكلم .

وسألته : هل يمكنني الخروج من القصر الآن ؟

فقال في دهشة : إلى أين ؟

قلت : أريد استنشاق الهواء !

قال : السيارة غير موجودة .

قلت : لا أريد السيارة .

قال : أحب أن أوضح لصاحب الجلالة ، أن أبواب القصر مغلقة !

وفهمت المؤامرة الجديدة .

لقد نقلت إلى القصر الجديد حتى أكون في سجن محدد ، يسهل مراقبته ، وحتى يضمنوا عدم تكرار محاولة تهريبي من المستشفى !

ولم أنم طوال الليل .

وارتديت ملابسي الكاملة ، وجلست في غرفة مكتبي !

الفصل السادس والثلاثون

المفاجأة الجديدة

في الساعة التاسعة صباحا ، جاء رئيس الخدم يبلغني أن الضابطين الكبيرين اللذين رافقاني عند حضوري إلى القصر ، يرغبان في مقابلتي .

وقبل أن أجيبه بالإيجاب أو الرفض كان الضابطان قد فتحا باب غرفة المكتب ، ودخلا .

قال لي أحدهما :

– نرجو أن تكون جميع الأمور على ما يرام !

وقال الآخر :

– إن رئيس الوزراء ، يبعث إليكم بأطيب تمنياته !

قلت :

– أرجو إبلاغ رئيس الوزراء شكري على السجن الجديد ، ورغبتي في العودة إلى السجن السابق !

ودهش الضابطان ، وهما يستمعان إلى حديثي .

وقال أحدهما :

– لقد جئنا نبلغ جلالتكم أن رئيس الوزراء سيزوركم في الساعة الثانية عشرة تماما !

وانصرف الضابطان .

وجلست وحدي في انتظار عدنان مندريس .

وجاء الموعد الذي حدده ، الساعة الثانية عشرة : ولم يصل !

وضغطت على الجرس ، لأستدعي رئيس الخدم ، غير أني فوجئت به يقف أمامي ، معلنا وصول عدنان مندريس .

كنت حائرا ، كيف أتصرف معه ؟

إنني أريد أن أحتج لنقلي إلى سجن جديد ، وفي نفس الوقت ، لا أرغب في إثارته .

وأريد أن أطالبه بإعادتي إلى المستشفى التي كنت أقيم بها وفي نفس الوقت أخشى أن يعيدني إلى المستشفى الأولى ، مستشفى الأمراض العقلية !

وأريد أن أطلب السماح لي بالخروج ، وفي نفس الوقت ، أخشى « طابور » الحرس الطويل ، الذي يخرج ورائي ، إلى كل مكان !

ثم ... .

أريد أن أوضح له ، أنني لن أوافق على ضم الأردن ، إلى الحلف المركزي ، وأن جميع المحاولات والإغراءات التي يقدمها بهدف إقناعي ، محاولات فاشلة ، وفي نفس الوقت أخشى أن يؤدي ذلك إلى أن يرتكب مندريس معي تصرفا أحمق !

ولم تطل حيرتي ، فقد فتح باب غرفة المكتب ، حيث كنت أجلس ، ودخل عدنان مندريس .

كان مندريس متهلل الوجه ، وقال لي قبل أن يمد يده لمصافحتي :

- إن علامات الصحة ، بادية على وجهكم .

قلت : يبدو أن ذلك نتيجة عدم النوم .

قال : وقد أخذ مكانا ملاصقا لي :

- لا أفهم .

قلت : لم أنم دقيقة واحدة ، ليلة أمس !

ورويت له ما حدث منذ الدقيقة الأولى لدخولي إلى القصر إلى أن اكتشفت جهاز التسجيل تحت السرير !

وأبدى مندريس دهشته ، وهو يستمع لي ، وجعل يردد : كيف يجرؤون على ذلك !

وأراد أن يغير موضوع الحديث ، فقدم لي سيجارة وسألني :

- لا أدري هل تعجبك السجائر التركية ؟

قلت : إنهم لا يقدمون لي سواها !

قال : هل تفضل نوعا آخر من السجائر ؟

قلت : إن موضوع السجائر موضوع ثانوي ، فأنا أدخن أي سجائر !

ولكن ما يهمني الآن ، هو موضوع هذا القصر ، إنني لا أرغب في البقاء فيه !

قال : لماذا ؟

قلت : إنه أشبه ما يكون بالسجن ، وأنا أشعر باختناق

أنفاسي ، كلما مرت الساعات وأنا داخل هذا القصر .

قال : ماذا تقترح يا صاحب الجلالة ؟

قلت : هل يمكن الإقامة في أي فندق ؟

قال : لا أعتقد !

قلت : لماذا ؟

قال : لأن ذلك يتطلب إذنا خاصا من القصر الملكي في عمان ؟

وسكت مندريس .

قلت له : أريد أن أسأل كيف تنظر لي ؟

قال : إنني أكن لكم كل تقدير واحترام !

قلت : لا يهمني ذلك ، يهمني أن أعرف ، هل تنظر إلي كشخص عاقل ، أم كمجنون ؟

قال : بل أعتقد أنك مكتمل العقل والاتزان ، ودليل ذلك رغبتي في التباحث معكم !

قلت : قبل أن تبدأ أي مباحثات ، أريد إجابة محددة : هل يمكن انتقالي إلى أي فندق ؟

ولم يجب مندريس .

مباحثات جديدة

وجاء رئيس الخدم ، يحمل شراب اللوز .

وتشاغلت بشرب الشراب ، بينما أخرج مندريس علبة سجائره ، ليقدم لي سيجارة جديدة .

وقال مندريس ، وهو يشعل سيجارتي :

– هل تذكر موضوع حديثنا السابق ؟

قلت : نعم .

قال : لست أدري هل تسمحون لي بالعودة إليه ؟

قلت : أظن أنني قد أوضحت رأيي في موضوع الحلف المركزي .

قال : إنني أعود للحديث في هذا الموضوع ، لمصلحة الأردن !

قلت : ما هي مصلحة الأردن ؟

قال : إن انضمام الأردن ، إلى الحلف المركزي ، سوف يساعد في تهيئة جميع احتياجاته ! وبدلا من أن يعيش الأردن ، على فتات المساعدات التي تقدم إليه من بريطانيا وأمريكا ، سيخصص له مورد ثابت !

قلت : هل انضمام الأردن ، إلى الحلف المركزي ، شرط لتقديم المساعدات ؟

قال : نعم .

قلت : ولماذا لا تقدم إليه المساعدات دون أي ارتباط ؟

قال : لا يعقل ذلك !

قلت : لماذا ؟

قال : لأن المساعدات ستقدم من ميزانية الحلف ! وهذه المساعدات لا تقدم إلا للدول الأعضاء !

قلت : هناك دول كثيرة في منطقتنا ، تحصل على المساعدات دون التقيد أو الارتباط بأي حلف ؟

قال : تقصد الجمهورية العربية المتحدة ؟

قلت : نعم .

قال : إن ظروف تلك الدولة تختلف عن ظروف الأردن .

قلت : أعتقد أن في إمكان الأردن الحصول على مساعدات بنفس الطريقة التي تحصل بها الجمهورية العربية المتحدة على المساعدات .

قال : كيف ؟

قلت : باتباع السياسة التي تسير عليها !

قال : إن ظروف بلادكم تختلف .

قلت : لماذا ؟

قال : لأن النظام الملكي مازال موجودا .

قلت : ما دخل النظام الملكي ، في هذه السياسة ؟

قال : إن هذه السياسة لا تتفق والنظام الملكي !

قلت : هذه وجهة نظرك !

قال : إنها الصواب !

قلت : لا أعتقد .

ومرت فترة صمت ، قطعها مندريس بوقوفه .

وقال مندريس ، وقد أصبح في مقابلتي تماما :

– أريد أن أقول لكم للمرة الثانية ، وبمنتهى الصراحة ، إن موضوع عودتكم إلى الأردن متوقف على موقفكم من الحلف المركزي .

قلت له ، وأنا مازلت جالسا في مكاني :

وأنا أيضا أريد أن أقول لكم للمرة الثانية ، وبمنتهى الصراحة أيضا ، إنني أرفض المساومة على بلادي .

قال في وقاحة :

وأريد أن أوضح لكم للمرة الأخيرة ، أنه لم يعد لكم أي اعتبار في الأردن ! ولن تتمكن من العودة إليها في يوم من الأيام .

وانصرف .

الفصل السابع والثلاثون

عودة ... إلى المستشفى

كانت الساعة قد قاربت الثالثة مساء عندما انتهى هذا الحديث العاصف !

وضغطت على « الجرس » لاستدعاء رئيس الخدم ، فلم يجب .

وأعدت الضغط على الجرس من جديد ، ولم يجب .

وضغت على الجرس للمرة الثالثة ، ولم يجب .

ولم أجد مناصا من الخروج بنفسي للبحث عن رئيس الخدم .

وعلى مقربة من باب حجرة المكتب ، كان رئيس الخدم يقف وهو يدخن سيجارة وسألته :

هل استمعت إلى الجرس ؟

قال : نعم !

قلت : لماذا لم تجب إذن ؟

قال وهو يبتسم في استهزاء : لأنني لم أنته من تدخين سيجارتي .

قلت : هل أعذ طعام الغداء ؟

قال : لا أعرف !

قلت : متى يمكن أن تعرف ؟

قال : لست أدري إذا كان قد أعد طعام للغداء أم لا ؟

قلت : أرجو إبلاغي عندما يعد طعام الغداء !

وعدت إلى غرفة المكتب .

وانتظرت حضور رئيس الخدم ليبلغني بأن الغداء قد أعد ، ولكنه لم يحضر .

وبقيت حتى الساعة الخامسة ، جالسا في غرفة المكتب ، دون أن يطرق بابها أي خادم ! ودون أن أتناول أي طعام .

وفجأة ، فتح الباب في قسوة ، ودخل الضابطان ، نفس الضابطين اللذين أحضراني إلى القصر !

وقال أحدهما : السيارة في الانتظار !

قلت : إلى أين ؟

قال : لقد أبلغنا رئيس الوزراء ، رغبتكم في ترك القصر .

قلت : إلى أين ؟

قال : سائق السيارة يعرف خط السير !

قلت : أرجو إمهالي بعض الوقت ريثما آمر بإعادة ملابسي إلى الحقائب !

قال : لقد أعدت حقائبكم ، ووضعت بالفعل في السيارة !

وهكذا عدت من جديد إلى المستشفى ، مستشفى الولادة وأمراض النساء !!

الفصل الأخير

كنت ألعب الشطرنج مع مدير المستشفى ، مقابل رهانات رمزية .

وفي آخر دور قلت له : إذا ربحت هل تقبل تنفيذ ما أطلبه منك ؟

قال الطبيب في تردد : نعم .

غير أنه عاد وسألني : ماذا تطلب مني ؟

قلت : أريد البحث عن سكرتيري وإحضاره لي هنا !

قال : لماذا ؟

قلت : إنني لم أره منذ عدة أيام ، وأخشى أن يكون قد أصابه مكروه !

قال : لقد اتصل بي السكرتير صباح اليوم ، وسألني عن عنوان جلالتكم فأفهمته بأنني لا أعرفه ، ولكني وعدته بالبحث عنكم !

وقد فهمت خلال حديثي معه أنه يرغب في مغادرة إستانبول لأنه يشعر بأنه قد أصبح غير مرغوب فيه !

قلت : من قال ذلك ؟

قال : حسب ما فهمته ، أن جلالتكم لا ترغبون في استمراره إلى جواركم !

قلت : غير صحيح ، غير صحيح !

وجعلت أردد الكلمة ، إلى أن أضطر الطبيب بأن يقسم لي أنه سيحضره في الصباح الباكر .

واستأنفنا اللعب .

وقبل أن ينتهي الدور فتح باب الغرفة في بطء ، لم نشعر به في البداية ثم فوجئنا بسكرتيري يقف خلفنا .

وذعر الطبيب !

لقد ظن أن أحد الضباط يريد إلصاق تهمة ما به ، مستغلا بقاءه معي لفترات طويلة .

والتفت الطبيب إلى السكرتير وقال :

لقد أزعجتني ، أزعجتني جدا !

ولست أدري ، لماذا ربط السكرتير على الفور بين العبارة التي وجهها إليه الطبيب وبين شعوره بأنه قد أصبح غير مرغوب فيه ؟ فانطلق يقول في ثورة :

لن أبقى إلى أن أستمع خبر طردي بنفسي !

ومضى يقول في نفس الثورة لن أبقى إلى أن أستمع إلى خبر طردي بنفسي .

وحاولت تهدئته ، إلا أنه قال :

إنني أشعر بأنني عديم الفائدة لجلالتكم ، أشعر بأنني شخص لا قيمة لي ! لقد خسرت أصدقائي وخسرت عملي أيضا ولست على استعداد لأن أخسر نفسي !

ولم أفهم ما يعنيه .

غير أني طلبت إلى الطبيب مغادرة الغرفة حتى لا يشهد حديثي مع السكرتير شخص آخر .

ونفذ الطبيب رغبتي .

وما كاد الطبيب يغلق باب الغرفة خلفه حتى انفجر سكرتيري باكيا .

ولم أحاول تهدئته ولم أطلب إليه أن يكف عن البكاء ، فإننا نبكي أحيانا ، عندما نريد أن نفرج عن أنفسنا ! وقد تعودت البكاء وحدي ، كلما فكرت في قضيتي ، وفي مصيري !

وكان البكاء هو الشيء الوحيد الذي يريحني ، ويهدئ من ثورة نفسي !

كذلك لم أسأله عن سبب البكاء ! ولم أسأله عن سبب تفكيره بأنه قد أصبح شخصا غير مرغوب فيه ! فقد كنت لا أطيق أي سؤال ، أو أي محاولة للتدخل ، عندما تثور نفسي !

لقد وضعت نفسي في ظروفه ! وتخيلته يعاني نفس الحالة النفسية التي عانيتها سنوات طويلة ، ومازلت أعانيها حتى الآن !

واستمر السكرتير في البكاء .

ولست أدري كم من الوقت استغرق بكاؤه ، كل ما شعرت به أنه بكى لدهر طويل !

ولست أدري لماذا أراحني هذا البكاء ، فقد أحسست به ! وأحسست بصدقه ! وأحسست بأنه من أجلي !

نعم ، من أجلي ، أخيرا أجد من يبكي من أجلي !

وهدأ السكرتير .

وهدأت أنا الآخر .

وانتابني شعور غريب ، شعرت بأنني إلى جوار صديق مخلص ، وما أندر الأصدقاء المخلصين .

وقدمت إليه سيجارة .

وتردد السكرتير في قبولها ، فبالرغم من الصداقة القوية التي جمعتنا وبالرغم من الظروف القاسية التي عشناها معا وبالرغم من مصارحتي له بكل كبيرة وصغيرة في حياتي .

بالرغم من هذا كله ، فهو يخجل أن يدخن أمامي !

وقد كان يغادر غرفتي كلما شعر برغبة في التدخين !

وألححت عليه في قبول السيجارة .

وأمسك السكرتير بالسيجارة ويده ترتعش ! ثم قال :

أرجو أن تغفر لي !

ثم أشعل السيجارة !

وسألته : هل بحثت ترتيبات سفرك ؟

قال في استغراب : نعم ، ولكن هل توافق جلالتك على سفري ؟

قلت : نعم .

قال : إني على استعداد لاستبعاد فكرة السفر !

قلت : بل إنني أشجع هذه الفكرة ، وأرجو أن تتمكن من تحقيقها !

قال : وأنت ، من يبقى إلى جوارك ؟

قلت : إنني أؤمن بالله ، وأؤمن بأنه أقوى وأخلص سند لي .

وعدت أسأله : هل بحثت ترتيبات السفر ؟

قال : نعم ، لقد أعددت كل شيء !

قلت : كيف ؟

قال : سأهرب من إستانبول في سيارة أحد أصدقائي الأتراك عن طريق سوريا !

قلت : ربما اكتشفت السلطات التركية هذا الأمر ؟

قال : إن صديقي له أصدقاء كثيرون من رجال الحدود .

ثم أخذ يشرح لي تفاصيل خطة هربه والطرق التي قرر أن يسلكها .

وسألته : أين الفصول التي أمليتها عليك من مذكراتي ؟

قال : سأحضرها لك قبل سفري !

قلت : لا ، لا أريد أن تحضرها لي !

ابقها معك وانشرها بعد وفاتي !

قال : أرجو لك العمر الطويل .

قلت : ما قيمة العمر الطويل ؟

ومرت فترة صمت طويلة ، قطعها السكرتير بقوله :

عندي اقتراح !

قلت : لا ، لا أريد أن تبلغني بأنك ستصحبني معك في السيارة !

قال : لا ، ليس هذا هو اقتراحي ، لأن خروجك من المستشفى قد أصبح أمرا في غاية الصعوبة !

قلت : إذن ، ما هو اقتراحك ؟

قال : هل تمانع جلالتك في نشر مذكراتك ؟

قلت : أنشرها كما تريد ، ولكن بعد وفاتي !

قال : سأعمل على نشرها بمجرد خروجي من الحدود التركية !

وظل السكرتير أكثر من ساعة يقنعني بمزايا نشر المذكرات وكنت مصمما على عدم نشرها إلا بعد وفاتي !

ولم ييأس .

وسألني : ألا تعتبر فترة حكمك ، وما حدث خلالها فترة غامضة ؟

قلت : بلى !

وسألني : ألا يعتبر ما حدث لك منذ أقصيت عن العرش حتى الآن أيضا أحداثا غامضة ؟

قلت : بلى !

قال : إذن ، اسمح لي بأن أوضح هذه الفترة للناس ، لكل الناس !

وقال : إن ما أمليته علي من مذكرات هو كل ما تبقى لك ، وهو كل ما تملكه الآن !

وظللت أفكر فترة طويلة ثم قلت له :

موافق .

ولكني أرجو أن تضمنها ما حدث لنا هذه الليلة .

وأخرج السكرتير قلمه ، وبحث عن ورق فلم يجد ، وغادر الغرفة ، ليبحث عن ورق ، فلم يجد سوى مجموعة من الصحف القديمة ، وبدأ يكتب على المساحات البيضاء فيها ما أمليه عليه .

ونظرت إلى ساعتي ، لأسجل لحظة انتهائي من إملائي آخر فصول المذكرات .

وقلت له :

اكتب انتهت المذكرات في الساعة الرابعة صباحا !

دمعة كبيرة !

ويروي سكرتير الملك طلال ، ما حدث بعد ذلك ، فيقول :

وضعت قصاصات الصحف التي كتبت عليها آخر فصول

المذكرات في جيبي ، ثم تركت القلم على المنضدة الصغيرة ، فالتقطه الملك طلال ، وقال لي :

بقى القلم ، لم تعده إلى جيبك ! أرجوك لا تسبب لي مشاكل جديدة !

ووقفت .

وذعر الملك طلال ، وتعلقت عيناه بي في دهشة .

وتأثرت لهذا المشهد ، وحاولت أن أبكي ، ولكن الدموع تجمدت في عيني ! وحاولت أن أتكلم ، ولكن الكلمات ، وقفت في فمي !

ولم أجد مناصا من الهرب ، الهرب من نفسي ، ومن مشاعري ، فأديت له التحية العسكرية ، ثم استدرت منصرفا .

غير أن الملك طلال ، لحق بي ، وهو يردد اسمي !

وازدادت حيرتي ، وازدادت ثورة نفسي ، وخشيت أن أنظر إلى الملك طلال من جديد ، فأنا لا أقوى على هذه اللحظة ، لا أقوى على لحظة الوداع !

غير أنه جذبني من يدي ، في رفق ، فهو لا يستطيع إلا أن يكون رفيقا .

ومد يده إلي مصافحا .

ومددت يدي في بطء .

وتلاقت يدانا ، يده الرقيقة التي تحولت من فرط ضعفه إلى

يد أشبه ما تكون بيد الأطفال الصغار ، ويدي الحائرة المترددة التي لا تقوى على الضغط على يده .

ثم تعانقنا .

ولست أدري ، لماذا شعرت وأنا أضمه إلى صدري ، بأنني لا أريد أن أفارقه ! لست أدري لماذا شعرت به أقرب من أبي ومن ابني ، ومن زوجتي ! لست أدري لماذا شعرت بأنني لا أرغب في أن ينتهي عناقنا !

وشعر الملك طلال بي ، شعر بحالتي النفسية ، فقال لي :

أرجو لك التوفيق .

ثم فتح لي باب الغرفة ، بنفسه .

وخرجت .

وأغلق الملك ، باب الحجرة من جديد .

وبدأت أخطو في بطء نحو الباب الخارجي للمستشفى ، والجنود الذين تضاعف عددهم ، يتابعون خطاي ، في دهشة .

وعندما وصلت إلى باب المستشفى ، التفت للمرة الأخيرة إلى نافذة الحجرة التي يقيم بها طلال .

وسقطت دمعة كبيرة !

انتهت المذكرات